

(الجزء السادس عشر) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٣١٧



الجناب الخديوي المعظم

بمناسبة عودة سموه من سياحته في اوربا بالعز والاقبال

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المقريزي

(المؤرخ العربي الشهير)

يترجم الافرنج كتبه الى اليوم

هو تقي الدين احمد المقريزي من جملة علماء العرب الاعلام الذين عاشوا في القرن الخامس عشر . ولد في القاهرة في سنة ١٣٦٥ وتوفي فيها في سنة ١٤٤٢ واصله من عائلة يقال ان نسبها ينتهي الى الفاطميين كانت مقيمة في بعلبك في الشام . وقد نشأ تقي الدين في القاهرة ودرس التاريخ والعلوم الاسلامية درسًا دقيقًا في مدارسها الكبرى ثم سار الى مكة فاقام فيها زمنًا وعاد بعد ذلك الى القاهرة فتلقاه حكامها بالاكرام وولوه مرارًا وظائف كبرى كان يقوم بها احسن قيام . وكان رحمه الله شديد المراقبة كثير الذكاء محبًا للاستطلاع مولعًا بالعلم والعمل فاكتسب بهذه المواهب علمًا واسعًا ومعرفة كبرى باحوال البلاد التي عاش فيها والناس الذين عاصرهم والذين عاشوا قبله فصرف عمله الى التاليف فوضع كتبًا كثيرة في العلم والتاريخ والجوغرافيه

ولاهمية هذه الكتب لا يزال الافرنج يترجمون منها الى هذا اليوم يتخذونها معادن علم يستخرجون منها الحقائق العلمية والتاريخية والجوغرافية عن الشرق و بلدانه . من ذلك اهم كتب المقريزي وهو (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاخبار) فان العالم المستشرق الفرنسوي المسيو بوريان يترجمه الى اللغة الفرنسوية منذ سنة ١٨٩٥ ولم يفرغ منه الى اليوم . ويقول العالم لاريش عن هذا الكتاب : انه كنز للمعارف لا ينفد فيما يتعلق بتاريخ مصر وجغرافيتها

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٨٩٤ في مجلدين كبيرين . وللمقريزي تاريخ آخر غيره عنوانه «كتاب السلوك في معرفة الملوك» نقله الى اللغة الفرنسوية المستشرق كاترمير تحت عنوان «تاريخ امراء المماليك» وذلك في سنة ١٨٣٧

وهذان الكتابان من احسن ما كتب عن مصر منذ الفتح الاسلامي بشهادة العلماء

الاوروبيين انفسهم · وللمقريزي كتب اخرى كثيرة غيرهما. منها :

تاريخ ملوك المسلمين في الحبشة — نشره لاينك باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٧٩٠

وكتاب في النقود الاسلامية واوزان العرب ومقاييسهم — نشره المسيو تيشين باللغة اللاتينية والمسيو ساسي باللغة الفرنسوية بين سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٠٠ في باريز

وتاريخ غارة الروم والفرنك على دمياط — نشره المستر هاماكر باللغة اللاتينية في امستردام سنة ١٨٢٤

وتاريخ النصارى من الاقباط — نشره المسيو وتزر باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٨٢٨

وتاريخ الاقباط — نشره المسيو ويستانفيلد باللغة العربية والالمانية في سنة ١٨٥٤

وكتاب مسهب عن قبائل العرب الذين اقاموا في مصر — نشره العالم المذكور آنفاً باللغة العربية والالمانية في سنة ١٨٤٧

وكتاب وصف حضرموت — نشره المسيو فوسكوويج باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٨٦٦

فمن يتأمل نهوض الافرنج من كل جانب في فرنسا وانكلترا والمانيا وغيرها الى ترجمة ما ألفه علماء العرب للانتفاع به ولا يقوم في نفسه حزن لقعود ابناء اولئك العلماء عن احياء مآثرهم والانتفاع بمعارفهم · مثلنا معهم مثل اولاد يعرضون عن ميراث آبائهم وانسبائهم ويتركون الغريب متمتعاً بهذا الميراث يغتني به وهم فقراء ويجني من علمه وهم جهلاء · ثم اذا اتفق يوماً ان هذا الغريب ارانا علمه واظهر لنا فضله خفضنا الرؤوس امامه وقلنا : انه من جبلة ونحن من اخرى لا نستطيع ان نغالبه فانه يغلبنا او ان نقاويه فانه اقوى منا—وما علمنا انه يحاربنا بسلاحنا ويتجر ببضاعتنا وبما زاد عليها باجتهاده وذكائه ومساعدة اغنيائه وحكوماته

ولكنه يلوح لنا ان « شركة طبع الكتب العربية » التي تألفت في القاهرة من نخبة من افاضل الناس آخذة في سد هذا الفراغ واحياء مآثر اولئك العلماء · وللمقريزي كتب خطية في مكتبة باريز ومكتبة لايدن لم تطبع الى الآن كما لكثيرين غيره من علماء العرب في المكاتب الكبرى في الشرق والغرب · فحبذا لو تبحث الشركة عن اصح هذه

الكتب واكثرها فائدة فتنشرها لقراء اللغة العربية الذين يشتاقون الآن اليها اشتياق الظماء الى الماء

ونذكر في هذا الصدد مادار بيننا وبين مؤرخ كبير ليس في الشرق ثلاثة بعلمه وفضله . اقترح حضرته على الجامعة ان يكتب لها تاريخاً وجيزاً ممحصاً لانكلترا من حين نشأتها الى هذه الايام . فقلنا هذه خير فرصة تُغتنم لاتحاف العالم العربي بتاريخ للعرب وجيز ممحص من حين نشأتهم الى هذه الايام . فاقترحنا على صديقنا المؤرخ ان يجعل لدولة العرب ما اراد جعله لانكلترا وهذا جوابه مقتطف من رسالة له نستأذنه بنشره وان كان مكتوباً للطي لا للنشر :

« سألتني الجامعة عن تاريخ العرب . وقد تخيرت موضوعاً جليلاً الا ان في السبيل اليه عقبات . وانها لربما علمت ان جلالة اوسكار ملك اسوج ونروج كان قد نشر في العربية اعلاناً يستنهض فيه الهمم للمباراة في هذا التاليف وضرب لذلك موعداً ووعد بالجائزة المالية والفخرية فحدثتني نفسي بالتماس المباراة ولكني احجمت لان المعدات اتاليف مثل هذا الكتاب نزر قليل بين ايدينا واذا اردنا ان نلتمس مصادر الاخبار نضطر الى نفقات فادحة لا تفي بها الجائزة الموضوعة . فلو كنت في سعة من الوقت لاتيت مصر واقمت في مكتبتها حتى املأ وطابي ثم اضع هذا الكتاب . فهل تتم لي هذه الامنية

« اما المواضيع الاخرى فبين يدي منها كتب كثيرة من جلة مؤرخي الافرنج فاتخذهم محوراً اتابعهم تارة واخالفهم اخرى ما شاءت بصيرتي . ذلك ان تاريخهم لا يؤخذ الا عنهم اما تاريخنا فواجب اخذه عن مؤرخينا وهذا يقتضي كتباً ليست في ايدينا . وبين الايجاد من العدم والبناء على الاساس المتين فرق لا يخفى » انتهى

فاذا كانت هذه حاجة علمائنا ومؤرخينا الافاضل الى تلك الكتب العربية المطوية في زوايا المكاتب الكبيرة سواء في اوربا او في مصر فان شركة طبع الكتب العربية تخدم العلم والعلماء اجل خدمة اذا سعت في اخراج هذه الكتب من مدافنها ونشرها بين طلابها والله يجزي المحسنين خيراً

الامبراطور منليك

(ملك ملوك الحبشة)

لحضرة صاحب الامضاء

لما شبت نار الحرب بين انكلترا والترنسفال رسمت احدى الجرائد الانكليزية انكلترا بهيئة جندي ضخم يتقدم من اله الحرب وهو يمد صحفة في شماله وسكيناً في يمينه و يقول له « اطعمني الآن من الترنسفال وبعده تأتي نوبة الحبشة »

وقد ارادت بذلك ان الحائل دون انشاء انكلترا سلطنتها الافريقية العظمى وذلك بوصل الكاب بالقاهرة الترنسفال اولاً والحبشة ثانياً لوقوعهما في هذا الخط . فاذا ضربت انكلترا الآن الترنسفال فانها بعد الفراغ منها ستضرب الحبشة . فالكلام اذاً عن الحبشة من المواضيع المهمة التي لا يملها القارىء ولا يسأمها الكاتب

وقلما يعرف الناس شيئاً عن هذه الامبراطورية الشرقية الجديدة التي نشأت في قلب افريقيه كما تنشأ الاشجار القوية في الغابات المجهولة الواسعة . ولذلك رأيت من الفائدة ان اخصص بها مقالة اودعها ما وقفت عليه من ترجمة حال امبراطورها ووصف اخلاقه و بلاده و رعيته بوجه الاختصار فاقول

﴿ منليك ﴾ هو ساهالا مريم بن هالي مليكوت ملك خوى . ولد سنة ١٨٤٤ وتوفي ابوه سنة ١٨٥٦ فغزا تيودورس ملك الحبشة وقتئذ بلاده وقاده الى كوندار فاقام في الاسر سبع سنوات متوالية . ولما تمكن من الفرار عاد الى خوى فنودي به في عاصمتها انكوبر ملكاً مكان ابيه ودعى نفسه منليك الثاني ايهاماً للشعب بانه من نسل منليك الاول اول ملوك الحبشة الذي ولدته ملكة سبا اثر زيارتها لسليمان ملك بني اسرائيل . وكان غرض منليك من هذا الايهام خلع تيودروس محتجاً بانه مغتصب للملك والجلوس مكانه . فطالبه بحقه او ما يسميه حقه في سنة ١٨٦٦ وحاربه مراراً فلم ينل منه منالاً فتحول عنه الى قبائل الجالا فاخضعها وضمها الى املاكه . ولبث عشرين سنة يغزو ويحارب الملوك والامراء المجاورين له فكان النصر معقوداً بلوائه في جميع غزواته فاتسعت بذلك مملكته واشتدت سطوته . وفي عام ١٨٨٧ ضم الى املاكه اقليمي كافا وهرر والاخيرة اقليم خصب اخذه كرهاً من مصر لما راى بعض الدول الاوربية تتزاحم لاقتسامها



رسم منليك على الريال الحبشي
(على راسه تاج الرئاسة على ملوك الحبشة وفي جانب الريال هذه الكتابة باللغة
الحبشية: «الحبشة لا تمد يدها الا لله» اي لا تتكل على غير الله)

وكان بالرغم عن حروبه يواظب السعي في اقناع يوحنا ملك ملوك الحبشة الذي خلف ثيودروس على كرسيه بان يجعله وارثاً للملك من بعده ولما لم يفز بذلك حاربه فانتصر عليه يوحنا انتصاراً عظيماً فاضطر منليك أن ينتهج معه منهج التوءدة والمسالمة ويعترف بسيادته

ثم كانت وفاة الملك يوحنا. قُتل في معركة المتمة الشهيرة (١٠ مارس سنة ٨٩) في حملته على الدراويش فانشقت الامة الحبشية الى حزبين حزب اراد منليك وكان فريقاً كبيراً وحزب رغب في تولية ابن يوحنا وهو الراس منغاشيا. فادى هذا الانشقاق الى حرب بين الفريقين كان الظافر فيها منليك فخضع له الراس منغاشيا مكرهاً واعترف بسيادته فعينه منليك حاكماً لولاية التيغره مدى الحياة. وفي ٤ نوفمبر سنة ٨٩ نودي بمنليك ملكاً لملوك الحبشة وتوج باحتفال عظيم في انتوتو عاصمته القديمة

وما استتب له الملك حتى قامت ايطاليا تطالبه ببعض املاكه من ولاية التيغره تقول انه كان قد وعدها بها ورغبت اليه ان يوقع على معاهدة اوشيالي فابى لانه رأى فيها ما اجحف بمصلحته ويضع الامة تحت سيطرة ايطاليا. فعدت الحكومة الايطالية رفضه نكثاً بالعهد وتحاملاً على مصالحها فاوعزت الى جنودها المقيمة على حدود الحبشة ان تجتاز الحدود. وكان ذلك فاتحة العدوان فاستاء منليك لمخالفة ايطاليا شروط المعاهدة بينهما وآلى على نفسه

ان يموت ولا يتنازل عن قيد شبر من مملكته

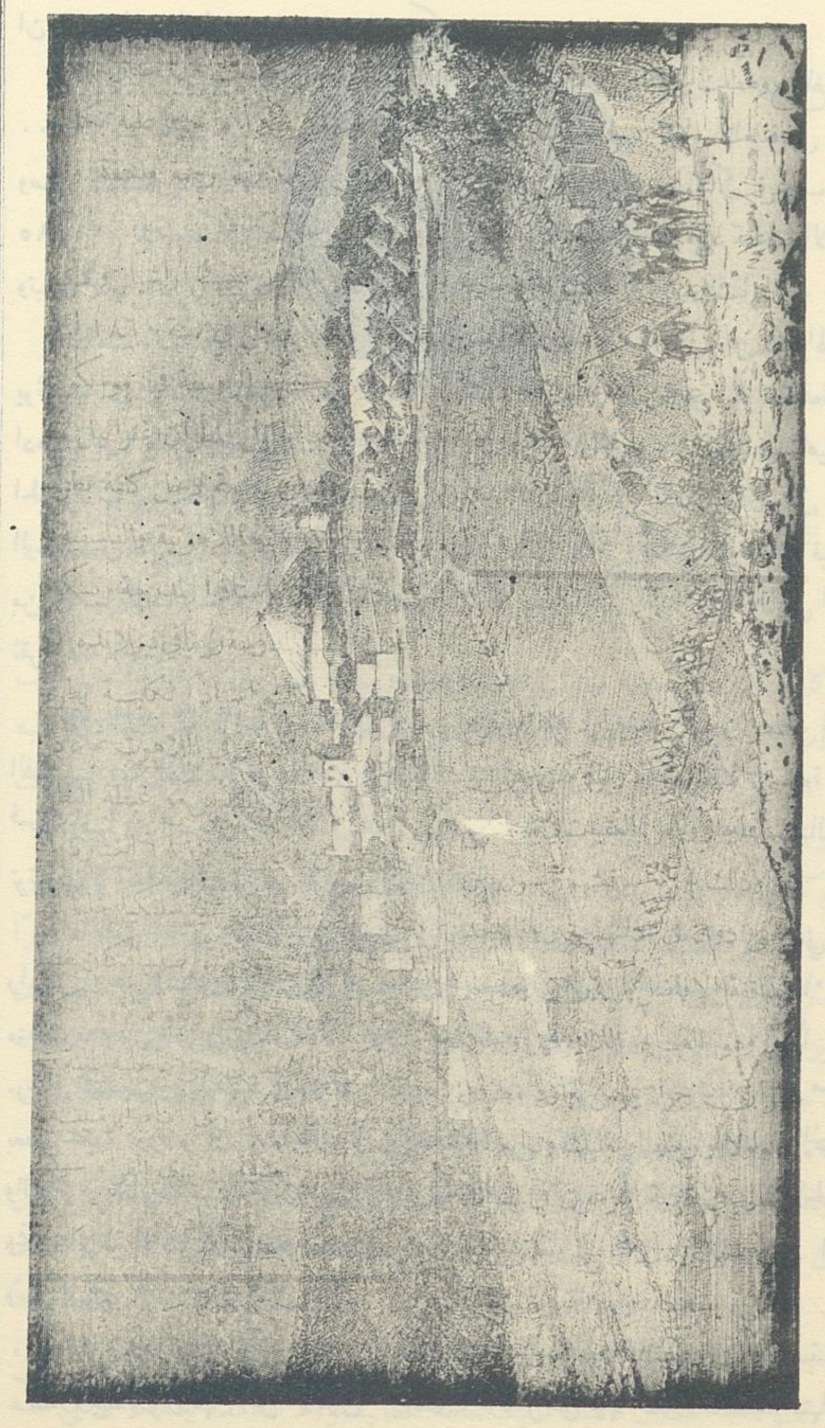
ثم اعلنت الحرب رسمياً وامدت الحكومة الايطالية جيشها في الاريتره حتى بلغ عدده ٣٥٠٠٠ من الجنود البواسل ولكن هذا الجيش الاوربي المدرب تقهقر امام جيش منليك وصار الانكسار يتلو الانكسار حتى كان انكساره العظيم في معركة امبالاكي (دسمبر سنة ١٨٩٥) ثم تلته معركة عدوه الشهيرة (مارس سنة ٩٦) التي سُحقت فيها الحملة الايطالية وتبدد شملها بعد ان قُتل واسر منها خلق كثير . انظر عدوه في الرسم التالي

وكانت بلاد الحبشة قبل تلك الحرب مجهولة قلما يعرف الانسان عن احوالها شيئاً يوثق به الى ان كان انتصارها على الايطاليين هذا الانتصار فظهرت من القوة والمنعة بمظهر ادهش اوربا باسرها وجعلها تقف بازائها موقف الاحترام والاعجاب . ولا غرابة في اهمية مملكة الحبشة لانها بموقعها الجغرافي واقعة بين مصر وراس الرجاء كما ذكرنا وهي بعد الترنسفال الحائل الوحيد دون تحقيق امنية انكلترا من الوصل بينهما . وفي بلاط النجاشي سفراء من قبل كل من روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا يتزاحمون فيه كل يوم باظهار المودة والاخلاص للنجاشي تقرباً منه واستمالة له

﴿ عاصمته ﴾ عاصمة الحبشة هي اديس ابابا ومعناها (الزهرة الجميلة) وقد اتخذها النجاشي قاعدة لملكه مذ هجر عاصمته القديمة انتوتو التي توج فيها . وهي كائنة في بقعة ارض فسيحة وفيها من السكان نحو ثلاثين الف يسكنون اكواخاً حقيرة مبعثرة هنا وهناك بلا ترتيب ولا انتظام مما تنقبض له نفس الزائر الغريب

اما قصر النجاشي وهو ما يُسمى عندهم « بالكبي » ولعله من القباء العربي فهو مبني فوق رابية بناء غير منتظم مسقوف بالاجر وجدرانه بيضاء والى جانبه قاعة فسيحة الارجاء ناظر منليك بناءها بنفسه وانشأها لاقامة الولائم فيها لجنوده وقد دشنها حديثاً اكراماً للقائد مرشان عند مروره بالحبشة راجعاً من فشوده . ويحيط بالقصر سور يحرسه خدم مسلحون بعصي ثخينة ووراءه ثلاث ساحات تلي الواحدة الاخرى وكلها تمتلئ يومياً بالجنود والشحاذين والبهائم . والشرطة مبثوثة في جميع الانحاء محافظة على الامن ومنعاً لما قد يحدث من الخصام . وتحت الاكمة الانفة الذكر يسير جدول من الماء اسود اللون يتخذه الوطنيون للغسل وسقي البهائم

والمناخ في اديس ابابا رديء جداً لعدم اعتناء السكان بالنظافة ووجود مستنقعات كثيرة يهملون ردمها كل الاهمال . ولذلك فالامراض فيها كثيرة لاتنقطع منها في



رسم قرية عدوة وهي عاصمة التيغرة مملكة الراس منغاشيا . فيها جرت الواقعة الشهيرة الفاصلة بين الاحباش والايطاليان . راجع المقالة

اربعة فصول السنة

❊ مقابلاته وولائمه ❊ وفي هذا القصر يستقبل النجاشي كل ايام الاحاد وفود الزائرين من سفراء واجانب فيقابلهم بكل رقة وبشاشة · واكثر ما تكون الولائم اثر هذه المقابلات فيجلس حينئذٍ النجاشي على دكة عالية تحت خيمة اطلسية ويتربع في وسطها · فتمد امامه موائد الطعام وعليها الآنية الصينية والفضية التي اهداها اليه البرنس دورليان والكولونل ليونتيف عند زيارتهما الحبشة فيا كلون على الطريقة الغربية من طبخ طاهي القصر وهو يوناني · اما النجاشي فلا يشاركهم في طعامهم بل يفضل ان يأكل باصابعه من اللحم النيء مقطعاً قطعاً طويلة دقيقة ومن نوع آخر من الخضر · وعند الفراغ من الطعام يُرفع ستار عن القاعة الكبرى فيبدو فيها للناظر الوف من الجنود متكئين على بعضهم البعض يشربون في قرون الثيران شراباً يستطيبونه وهو مزيج من الماء والعسل · فيسألهم النجاشي هل انتم مسرورون فيجيبونه "نحمد الله ونشكركم" ثم ينزل الستار فيلتفت الى ضيوفه ويوجه اليهم نفس السؤال باللغة الحبشية التي لا يعرف سواها خلافاً لما شاع عن معرفته بعض اللغات الاوربية

❊ صفاته وامياله ❊ وقد اشتهر النجاشي بالدهاء في السياسة اشتهاره بالشجاعة في الحرب فهو مقدام باسل نشيط ميال الى العلوم العصرية منشط لذويها شديد الولع بالاختراعات الحديثة ولا سيما الميكانيكيات فهو يعجب بها ولا يزال يفحصها حتى يتضح له سر تركيبها وكثيراً ما يفك آلة ويركبها بنفسه اذا اشكلت عليه كيفية وضعها

وقد ولع زمناً بالدراجة واحسن ركبها ولكنه هجرها بعدئذٍ عند ما تزايد سمنه · وقلما يسمع باختراع حديث الا ويأتي به · وقد استقدم حديثاً بضع خراطيش من الديناميت وامتحنها بنفسه تحت الماء فانفجرت واماتت بانفجارها كثيراً من الاسماك فتلقاها شعبه بسرور ودهشة عظيمين · وكثير من هذه الاختراعات تأتيه على سبيل الهدية فيسر بها ويلاطف مهديها كثيراً

وكثيراً ما يقوم في ايام الشتاء يراقب بنفسه نزح المياه التي تتراكم على الارض بعد هطول المطر الشديد · وله سلطة مطلقة في مملكته يسوسها بهمة عالية لا تعرف الكلل · فينهض باكراً جداً في الصباح فيذهب الى الكنيسة حيث يقيم ساعتين وبعد خروجه يذهب الى قصره فحيثما طاب له المقام في باحة القصر ام في قاعة القضاء يرى في شؤون شعبه ويقضي بينهم قضاء كثيراً ما يتبعه بالعفو اذا كان الذنب خفيفاً

وقد تزوج النجاشي بامرأتين الاولى بافانا توفيت سنة ١٨٩٠ والثانية تايتو زوجته الحاضرة . وهي ضخمة الجسم ولكنها ذكية ذات دهاء وسياسة ولها سلطة عظيمة على زوجها ولم يخلف منليك من زوجتيه ذكرًا فاوصى بالملك من بعده للامير (ونس سجد) وهو حفيده من ابنته ولد سنة ٨٥ والنجاشي شديد العناية به

﴿ الاحباش واخلاقهم ﴾ والعيشة هادئة في اديس ابابا ولقد تخالها خالية من السكان لما تراه فيها من السكون والهدوء غير انهم يجتمعون في بعض الاحيان على صوت غناء فياخذون بالغناء والرقص حتى يُسمع لهم دوي تصم له الاذان ثم يختمون العابهم بخصام كثيرًا ما تسيل على اثره الدماء

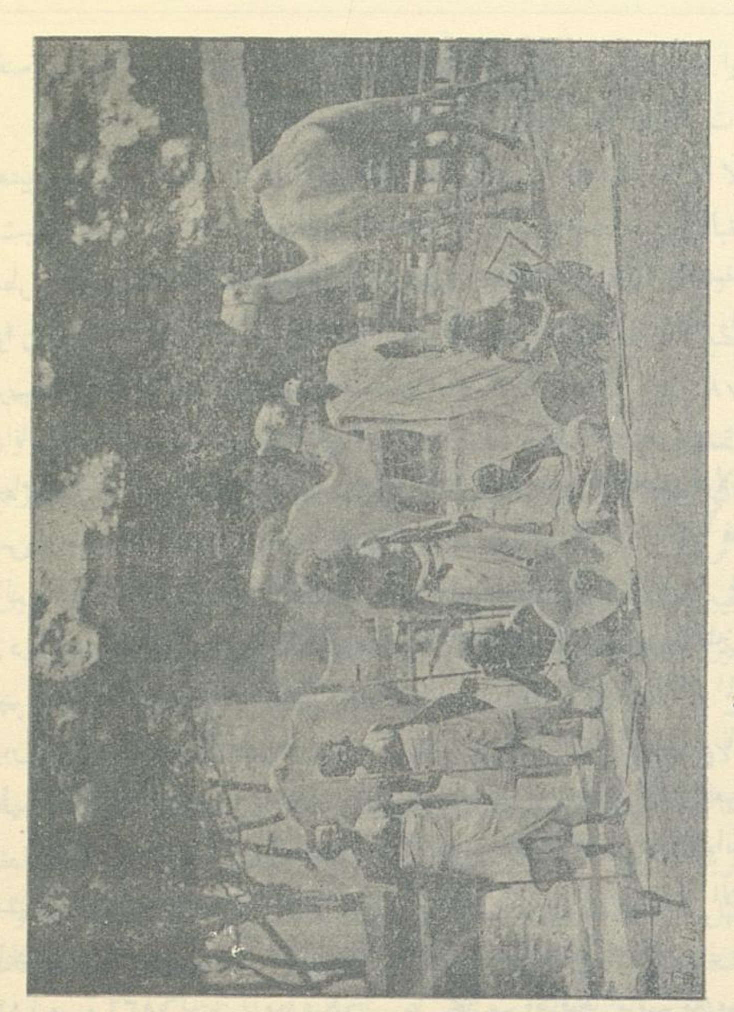
وطعامهم المستطاب اللحم النيء ممزوجًا بالماء والعسل والمرأة عندهم ذليلة تسام اشق الاعمال والزواج الكنائسي نادر والولد لا يلقب باسم ابيه بل كثيرًا ما يجهله ولا يعرفه طول حياته . وهم شديدو القذارة لا يعرفون النظافة ولا يغتسلون حتى لا يشبهوا المسلمين في نظافتهم . ومذهب الاحباش القبطي الارثوذكسي وفي الحبشة اديرة ورهبان وراهبات وكلهم يخضعون لرئيس اعظم يدعونه « ابونا » يعينه غبطة بطريرك الاقباط الاسكندري

وقد ارسل النجاشي منذ شهرين الى غبطة البطريرك يساله تعيين اسقف لابرشية قوجام احدى ممالك الحبشة فعين غبطته اسقفًا وسامه في صباح ٢٢ الجاري باحتفال عظيم في كنيسة الاقباط الارثوذكس الكبرى في القاهرة وسماه الانبا يوأنس وسيسافر سيادته قريبًا الى ابرشيته

ومساحة ارض الحبشة ٣٣٠ الف ميل وعدد سكانها نحو ٥ ملايين منهم مسلمون ويهود وتستطيع الحبشة ان تجيش منهم وقت الحرب ٤٠٠ الف جندي مسلحين بالبنادق الحديثة

وهم قوم اشداء يشبون منذ نعومة اظفارهم على الاقدام وحب القتال ولذلك حفظوا استقلالهم منذ الفتوحات الاسلامية والغربية وما حدث في جوارهم من الحروب . وشعارهم يدل على اقدامهم وهو : « الحبشة لا تمد يدها الا لله » ينقشونه على نقودهم كما ترى في الرسم الاول . وهم يفضلون السلاح الابيض على ما سواه وقلما يستعملون البنادق اما المدافع فينفرون منها ويحتقرونها لجهلهم استعمالها . الا ان النجاشي يعتني بها كثيرًا ولمزيد اعتنائه بها قد وضع المدافع التي غنمها من الايطاليين في معركة عدوه في احدى ساحات قصره . وقد يكون ذلك للمفاخرة لا للاعتناء

وهم موصوفون ايضًا بشدة القناعة والصبر على الشدائد اذا اجدبت بلادهم وكانوا في



﴿ الاحباش بسلاحهم على ضفة النيل ﴾

سفر او حرب فقليل من القمح المحمص او الدقيق المبلول بالماء كاف لسد رمقهم طول يومهم · ولكن المدنية قادمة اليهم بخيلها ورجلها فليس بعيداً ان تغيرهم بعد نصف قرن تغييراً عظيماً يصبحون معه دولة عظيمة تذوق نعم التمدن الحديث ونقمه وتحسب لها الدول الاوربية حساباً · كما انه ليس بعيداً ان يصدمها التيار الانكليزي في طريقه من راس الرجاء الى القاهرة فتصنع حينئذٍ الجنود الانكليزية والسودانية والمصرية ما عجزت عن صنعه الجنود الايطالية · والله علام الغيوب — ﴿ تيودوروس ﴾ ***

تاريخ مسألة الترانسفال

(من بدايتها الى الآن)

الوجه السياسي .

اضطرتنا كثرة المواد في الجزء الماضي الى تاجيل ما اعددناه عن مسالة الترنسفال الى هذا الجزء . فاذا طالع القراء التفاصيل التالية لم يفتهم شيء من تاريخ هذه المسالة واسباب هذه الحرب التي يُختم بها الان القرن التاسع عشر ختاماً محزناً .

※ تاريخ مسألة الترنسفال ※ تنتهي قارة افريقيه في طرفها الجنوبي براس يدعى راس الرجاء الصالح ويسميه الافرنج (الكاب) وهي ترجمة كلمة (راس) . احتل الهولانديون هذا الراس في سنة ١٦٥٢ وفي بداية هذا القرن ثارت الحروب بين فرنسا وانكلترا فاردت حكومة الديركتوار الاستيلاء على (الكاب) لانه محطة الهند والطريق اليها اذ لم يكن فردينان دي لسبس قد حفر ترعة السويس بعد . فاستنجد الهولانديون بالانكليز لحماية مستعمرتهم فاتى الانكليز واحتلوا الكاب لدفع الفرنسويين عنها . وبعد الصلح المعروف بصلح اميين خرج الانكليز منها وهم ينظرون شزراً اليها الى ان كانت حروبهم مع نابوليون فعادوا الى احتلالها خوفاً عليها من نابوليون فاراد الهولانديون هذه المرة دفعهم عنها لاستيائهم منهم في احتلالهم الاول فاخذها الانكليز منهم بالقوة فاصبحت مستعمرة انكليزية

فاستثقل الهولانديون نير الانكليز لظلمهم اياهم فاظهروا استياءهم فاعتبرهم الانكليز عصاة فاعدموا كثيرين منهم بعضاً شنقاً وبعضاً رمياً بالرصاص . فوضع الهولانديون بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٦ امتعتهم وما يملكون على عجلات وساقوها امامهم مع مواشيهم وحيواناتهم وساروا في جهة الشمال فراراً من الحكم الانكليزي . فابلغتهم الحكومة انهم تحت حكمها حيث كانوا وحيث اقاموا

فحطوا الرحال في قفر شمالي نهر اورانج وانتشروا في البلاد التي تُدعى الآن ناتال واورانج والترانسفال . والترنسفال مشتقة من كلمتين (ترانس) و (فال) وهو نهر في تلك البلاد فمعناها اذاً ما وراء نهر الفال . وقد اعلنتهم الحكومة الانكليزية ان من يسكن منهم وراء نهر الفال فله ان يحكم نفسه بنفسه

لكن ما لبث الهولانديون ان قام النزاع بينهم وبين الزولوس والباسوطوس وغيرهم من سكان البلاد الاصليين فتداخل الانكليز بين الفريقين وطردوا الهولانديين من ناتال

فتوافدوا على اورانج فطاردوهم فيها حتى وجدوا مشقة في ذلك فعقدوا معهم في سنة ١٨٥٢ معاهدات اعترفوا فيها باستقلال اورانج والترانسفال

الا ان اورانج حاربت قبائل الباسوطوس في سنة ١٨٦٥ فتداخل الانكليز بينهما ومنعوا هذه القبائل من مهاجمة الاورانجيين. وعُقدت في سنة ١٨٦٩ معاهدة اخرى تثبت معاهدة ١٨٥٢ وتؤيد استقلال اورانج . وتعرف هذه المعاهدة بمعاهدة اليوال

فحسبت اورانج انها اصبحت بمأمن من العبودية . ولكن بعضهم اكتشف في ارضها في سنة ١٨٧١ مناجم عظيمة من الماس . فثار ثائر الانكليز غير انهم رأوا في وجههم معاهدة اليوال تمنعهم من المداخلة في شؤون اورانج . فقام حينئذٍ المستر سسل رودس وادعى ان البلاد التي وجد الماس فيها وتعرف الآن بمدينة كمبرلي وضواحيها هي ملك زعيم قبيلة يدعى واتربوير لا ملك الاورانجيين . فاستولى الانكليز على هذه الارض غير مبالين باحتجاج الاورانجيين واعتراضهم واعطوا الزعيم المذكور بضع فدادين منها ومنحوا الاورانجيين بعد مدة وجيزة ٩٠ الف جنيه مكافأة لهم ورغبة في اسكاتهم فسكتوا مكرهين . فجنى الانكليز من هذه المناجم الماسية خيرات عظيمة ولكنها كانت وسيلة الى غرس بغضهم في نفوس الاورانجيين والادعاء عليهم بنقضهم المعاهدة وعدم حفظهم شرف قولهم

وفي اثناء هذا الوقت كان اللورد كارنارفون وزير المستعمرات الانكليزية يفكر في انشاء مملكة افريقية عظمى . فوجد ان العقبة الكبرى في الترانسفال واورانج بل في الترانسفال فقط لانه يسهل صيد اورانج متى صيدت الترانسفال . واتفق ان قبائل الزولوس نهضوا يومئذٍ على الترانسفاليين فاغتنمت انكلترا هذه الفرصة ووجهت حملة كبرى على الزولوس فاخضعتهم ولكنها جعلت جزاءها على كسر شوكتهم ضم الترانسفال الى املاكها

فثار الترانسفاليون على الانكليز في سنة ١٨٨٠ ثورتهم المشهورة التي انتهت بواقعة ماجوباهيل واليك تفصيل هذه الواقعة التي كانت فخراً للترانسفاليين

﴿ واقعة ماجوباهيل ﴾ لما اعلنت الثورة رسمياً انقسم الجيش الترانسفالي الى ثلاثة اقسام . قسم زحف لقطع الطريق على الاورطة ٩٢ الانكليزية التي زحفت على بريتوريا والثاني زحف الى بوتشفستروم والثالث الى هيدلبرك . وكان الجيش بقيادة قائد يدعى الجنرال جوبير وهو من نسل عائلة فرنسوية بروتسانتية لجأت الى الكاب ايام الحوادث البروتستانتية الشهيرة . فالتقى في ٢٠ دسمبر بالاورطة ٩٢ الانكليزية فافناها قتلاً واسراً . وكان الجنرال كولاي الانكليزي مسرعاً بجيش عدده ٢٠٠٠ مقاتل مزوداً بالمدافع

وقادماً من جهة ناتال فحار به الترانسفاليون ودحروه بعد ان قتلوا منه ١٦٠ جندياً ثم قاتلوه مرة اخرى فقتلوا منه ٢٠٠ جندي ودحروه فارتد نا كصاً من غير ان ياخذ جرحاه من ساحة الحرب فجاء اولئك المساكين في ظلام الليل مطر وابل فقضى عليهم

وكان الجنرال الانكليزي ينتظر نجدة من جنود الهند وعدوه بها من ناتال بقيادة السير افلن وود · فجرت له مع جيش الترانسفال قبل ورود هذه النجدة نحو ١٢ واقعة اخرى كانت الدائرة عليه فيها كلها حتى اتته هذه النجدة فاراد ان يقضي بها على قوى الترانسفال بضربة واحدة فغادر مراكزه وسار بجيشه الى اكمة تحكم جميع مراكز الترانسفاليين وتدعى « ماجو باهيل »

ففطن الجنرال جوبر قائد الترانسفال لنية الجنرال الانكليزي فارسل الى هذه الاكمة شرذمة من المتطوعة فتسلقتها خفية واحاطت بالجنرال الانكليزي واركان حربه من كل جانب ثم زحف الجيش الترنسفالي على الجيش الانكليزي فهزمه شرهزيمة وسقط الجنرال كولاي الانكليزي قتيلاً في ساحة الحرب سقوط الابطال وقتل من جيشه ٩٢ قتيلاً وجرح اكثر من ١٣٤ واسر ٥٤

فقامت قيامة الانكليز ولكنهم اضطروا الى مسالمة الترانسفال خوفاً من استفحال الامر وقيام جميع الهولانديين عليهم في الكاب والبلاد الاخرى فعقدوا معهم في ٢٧ مارس عام ١٨٨١ معاهدة خولوهم فيها حق الاستقلال بشؤونهم الداخلية على شرط ان يكونوا في المسائل الخارجية تحت « سيادة » الانكليز ووضعوا في بريتوريا وكيلاً سياسياً حفظاً للسيادة · غير ان هذه المعاهدة تلتها معاهدة اخرى عقدت في عام ١٨٨٤ نزعت منها كلمة « السيادة » فصارت الترانسفال حرة من كل الوجوه واصبح لانكلترا في بريتوريا عاصمتها قنصل اعتيادي كما لسائر الدول

ومن سوء حظ الترانسفال انه وجد فيها معادن عظيمة للذهب كما وجد في اورانج معادن للماس فسال لعاب الانكليز على الذهب كما سال على الماس ويقدرون ما يستخرج من الذهب سنوياً في الترانسفال بخمسة عشر مليون جنيه

فتقاطر الاجانب الى الترانسفال من كل جانب وجلهم من الانكليز فتكاثروا فيها واثروا وبنوا جوهنسبرج مدينة الذهب · فصار الترانسفاليون ينظرون شزراً اليهم لانهم يزاحمونهم على خيرات بلادهم فاساءوا معاملتهم حتى بلغ من ذل الاجنبي في الترنسفال ما بلغه الشرقي من الذل بازاء الاجنبي في سائر بلاد الشرق · فكأنَّ الترانسفال اخذت من الاجانب بثار

جميع الشرقيين وما يعانونه في كل مكان من اعتزاز الغربيين

واهم المظالم التي يشكو منها الانكليز في الترانسفال عدم اعطائهم الجنسية الترانسفالية الا بعد اقامتهم اعواماً فيها وعدم انشاء الترانسفال مدارس لاولادهم مع ان ثلاثة ارباع ايرادها من تعبهم . والتميز بينهم وبين رعيتها في الضرائب واختلال الامن في ضواحي جوهنسبرج مدينتهم وتفضيل الترانسفال البروتستانت من الاجانب على الكاثوليك . فثاروا عليها في جوهنسبورج عام ١٨٩٥ واستنجدوا بالدكتور جمسون عامل الشركة الانكليزية فزحف على الترانسفال بجند لا يبلغون الالف فرد الترانسفاليون غارته وقتلوا من رجاله واسروه مع من بقي . فكان لذلك رنة ودوي في العالم كله

ثم اطلق الاسرى وعاد السلم الى مجراه حتى كان هذا العام . فقام انكليز الترانسفال يجددون الطلب من الحكومة الانكليزية ان تنصفهم . فاخذت الحكومة هذه المرة بناصرهم وطلبت من حكومة الترانسفال منحهم حق التجنس بجنسية الترانسفال بشروط اسهل من الاولى . وكانت الجرائد الانكليزية وساسة الانكليز ينادون من حين الى حين بسيادة انكلترا على الترانسفال . فكان جواب الترانسفال في هذه السنة : « اني امنحهم حق التجنس بعد اقامة خمس سنين مما لم يحلموا به قط ولكني اشترط ان لا يعود احد من الانكليز الى الدعوى بسيادة انكلترا عليَّ فاني حرة مستقلة في شؤوني الخارجية والداخلية »

فلما وصلت المسألة الى هذا الحد علم الجميع انه لا بد من الحرب فاخذت انكلترا تستعد لها وترسل الجنود الى حدود الترانسفال فخافت هذه ان تجمع عليها انكلترا جيشاً كثيفاً فارادت مبادرتها بالحرب قبل استعدادها لها فانذرتها ان تسحب الجيش والا بدات بالحرب . فاجابتها انكلترا تاسف لهذا القول الذي لا جواب له . وهكذا ابتدأ العدوان وشعار الانكليز اليوم « اذكروا ماجو باهيل » اي الواقعة التي انكسروا فيها كما كان شعار الاميركيين في حربهم الاخيرة « اذكروا ماين » . فهل ينال الانكليز من اكاليل النصر على الترانسفاليين ما ناله الاميركان على الاسبانيين . ام يقوم الهولانديون في جنوبي افريقيه قومة واحدة فتضطر انكلترا الى مسالمتهم واقفال باب الحرب بمعاهدة جديدة

﴿ الترانسفال وسكانها ﴾ وسكان الترانسفال ٣ اقسام . الاول السود وهم السكان الاصليون من قبائل الزولوس والكفرة وغيرهم و يبلغ عددهم ٧٣٠ الف نفس . والقسم الثاني الهولانديون وهم البوير ومعناها الفلاحون وعددهم ٢٧٠ الف نفس : والقسم الثالث الاجانب وهم « الويتلاندر » ومعناها المهاجرون وعددهم ٨٠ الف نفس

وازمة البلاد في قبضة الهولانديين كما مرَّ بنا وكلهم اناس اشداء عاشوا في الخلاء والحرية · ومن مزاياهم انهم مشهورون بالرمي بالرصاص وهم يدربون اولادهم من صغرهم على اطلاق البنادق · ويكرهون الانكليز بمقدار ما يحبون حريتهم ويستقتلون في الدفاع عنها · ولكثرة انتصارهم عليهم في الحرب صار الانكليزي عندهم مثلاً للجبانة · واكثرهم يشتغلون بالزراعة والمعادن وتربية المواشي

وعاصمتهم بريتوريا عدد سكانها ١٥ الف نفس وقد بنيت في سنة ١٨٥٥ وسميت بريتوريا باسم رئيسهم الاول · وحكومتهم جمهورية فيها سلطة تشريعية يتولاها مجلسا نواب وسلطة تنفيذية يتولاها رئيس الجمهورية ومجلس له يعرف بالمجلس التنفيذي او الاجرائي والرئيس اليوم هو بول كروجر المشهور الذي كان في مقدمة الثائرين في ثورة ١٨٨٠ وربما افردنا فصلاً لذكر سيرته ونوادره واخلاقه · وهو صديق الجنرال جوبر بطل ماجوكاهيل والقائد العام لجيش الترانسفال في حربها الحاضرة ينتخب لخمس سنوات وقد اعادوا في السنة الماضية انتخابه للرئاسة فكانت المرة الرابعة التي انتخب فيها

اما جيش الترانسفال فان كل بالغ من البوير جندي يحمل البندقية فكل الذكور فيها جنود · وربما بلغ عدد جيشها اربعين الف نفس على الكثير · واذا ضم جيشها الى جيش شقيقتها جمهورية اورانج التي تساعدها في الحرب الآن بلغ عدد رجالها الى خمسين اوستين الفاً

واسمها الرسمي « جمهورية الترانسفال الجنوبية » مساحتها ٣١٠ الاف كيلو متر فتكون مساحتها ثلاثة ارباع مساحة فرنسا · يحدها من الجنوب جمهورية اورانج المذكورة ويحد هذه من الجنوب مستعمرة الراس · ومن الشرق يحدها اي الترانسفال ناتال واملاك البرتغال ومن الغرب افريقيه الجنوبية ومستعمرة الكاب ومن الشمال ولاية روديزيا نسبة الى سسل رودس · فهي اذن في قلب افريقيه في مامن من الدوارع الانكليزية ولولا ذلك لما كان لهذه الضفدعة الصغيرة ان تناوئ الحوت البريطاني العظيم

وقد نظرنا اليوم في هذه الحرب من وجهها السياسي فبقي علينا ان ننظر اليها من الوجه الادبي وكل آتٍ قريب

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

بين الارض والسماء

(مشنوق الاسكندرية)

وديعة قتلت نفسين · منبوذ الانسانية · ساحة غير محترمة لطيش البشر وجهلهم · متنكرين · اتجاه المخلوق نحو الخالق · جو النفوس الطائرة · المكان الارفع · قائل بقول كلمة لافلاطون

محمد علي حميد شاب من عامة الناس · لا صالح ولا شرير · اقتصد من عرق جبينه اربعة عشر جنيهاً فحسب انه دفن الفقر بهذه الثروة الطائلة · واذ خاف عليها الضياع قصد قريباً له واودعه اياها · ثم راح فنام ملء جفنيه

ولكنه بعد ايام احس بان قريبه يوسع على نفسه ثم رآه او سمع انه على عزم الزواج فقام في نفسه انه يتزوج بماله · نقصده طالباً هذا المال العزيز الذي ادخره غرشاً غرشاً ومليماً مليماً · فانظره القريب الى ما بعد زواجه فقال صاحب الدين بل تعطيني مالي قبل زواجك · فانكر المديون هذا المال فراراً من هذا الالحاح

فرأى الفتى محمد ان زوبعة هبت على آماله كلها فذهبت بهامرة واحدة بذهاب ماله · فصعد دمه الى رأسه فتناول سكيناً واغمدها في صدر مديونه الذي انكر دينه · فقبضت عليه يد العدل · فاعترف انه قتل غريمه لانه انكر ماله الذي جمعه بعرق جبينه · مسكين هذا الفتى · لقد حسب اعترافه مبرراً لجنايته وظن انكار غريمه داعياً الى تخفيف عقابه

كلا فان القاتل يُقتل · هكذا تحكم المحاكم البشرية · فنصبت مشنقته في الاسكندرية في ساحة محرم بك · ودعي اصحاب الجرائد الى حضور هذه الحفلة الهائلة كما يدعون الى حفلات الانس والطرب · وفي يوم الاثنين ١٦ اكتوبر الماضي في الساعة الخامسة صباحاً جيء

بالانسان الذي نبذته الانسانية من حضنهـا لينزل به قضاء العدل او ما يسمونه عدلاً فجاء في مركبة مقفلة يخفرها الفرسان . ولما وصل الى المشنقة صعد اليها بقدم ثابتة ونظر الى ما حوله فماذا رأى ؟

— رأى الوفاً مؤلفة من ابناء الانسانية بين رجال ونساء واولاد يجتمعين حول تلك الالة الجهنمية التي ستزهق بعد قليل نفساً بشرية . منهم من قضى ليله في تلك الساحة حتى يجد مكاناً فيها لمشاهدة « المنبوذ » من حضن الهيئة الاجتماعية . ومنهم من احيى ليله وقصد الساحة قبل انفجار بركان النهار ليصيب مكاناً قريباً من المشنقة . والباعة وسط هذه الالوف البشرية على اطباقها الاثمار والنقل تنادي للبيع والشراء في ساحة كان من واجبات الانسانية ان تكون فيها اكثر تهيباً واحتراماً

فتقدم نائب الحكومة من « المنبوذ » وتلا عليه صورة الحكم . ثم سأله . أتطلب شيئاً . فاجاب « المنبوذ » — متشكرين ولكني اريد ان اصلي . فما احلى هذا الاتجاه اتجاه النفس نحو الخالق وهي لا تزال على الارض مقيدة بقيود الجسد الشرير

و بعد الصلاة اصعد الى المشنقة . فبدا الوجل حينئذٍ في وجه « المنبوذ » . وكان بازائه انسان مهنته القتل ايضاً ولكنه يقتل باسم الهيئة الاجتماعية لا من عند نفسه ويسمى الجلاد . فوضع الحبل في عنقه وقال له « اشهد » قبل نزول القضاء . فقال كلمة الشهادة . قال له اشهد مرة اخرى . قال له ذلك ليشغله عن نفسه . وما كاد يلفظ « المنبوذ » الجواب حتى شد الرجل الحبل فهوى الجسد نحو الارض ولكن لم يبلغها بل بقي معلقاً بين الارض والسماء فاختلج وبعد اربع دقائق بقي منه على الارض ما هو من الارض وطار منه الى السماء ما هو من السماء

***

طارت نفسه غير آسفة على فراق سجنها في هذا الجسد المظلم الشرير الذي جاب لهـا هذا الوبال صعدت مع سائر النفوس الصاعدة من هذه الارض الى المساكن الازليـة فالتقت في طريقها وهي حزينة مما وجدته من الم الحبل وعار التشهير بهذه النفوس الصاعدة صعودها فانضمت اليها . جواهر شفافة لا مادة ولا روح نفضت عنهـا كثافة المادة وتراب الارض وراحت تسبح بين كواكب السماء في هذا الفضاء الواسع مسوقة الى الوطن القديم والمنزل الاول . كانها اسراب حمام بيض كالثلج لامعة كالنور فرت من اقفاصها المظلمة على الارض . بعضها يثب في طيرانه وثباً يدل على حدة صباه و بعضها يطير بتأن يدل على رصانة الشيخوخة ورزانة الكهولة . بعضها يبتسم لانه ترك هذه الارض مستريح الخاطر ناعم البال

وبعضها يعبس تعبيس الكئيب الحزين لما خلف وراءه من الاشجان . المكان مظلم لانه فوق افلاك الكواكب والشموس ولكنه يضاء شيئاً فشيئاً كلما اوغلت في جوه تلك النفوس كانها مصابيح تتقدم الى ابواب الازلية

وما زالت سابحة حتى وصلت الى المكان الارفع وفي جملتها النفس المنبوذة من الاسكندرية . وصلت ومرارة الالم في نفسها والدموع في عينيها وهول الحبل لا تزال ترتعد له فرائصها فرأت على الباب الخارجي الموصل الى اماكن الانتظار اصبعاً تشير نحوها وسمعت صوتاً يقول:

***

« مسكينة هذه النفس فانها كانت تعيسة في الكرة الارضية لقد ترك البشر جميع الرذائل تنمو فيها . تركوا الشر فيها يقوى على الخير والجنون يتغلب على العقل والرذيلة على الفضيلة ثم اخذوا عليها انها عملت بما ساقها اليه فساد تربيتها . شجرة في البستان نخرها السوس واكلت اوراقها الحشرات المؤذية هل من الحكمة ان نقطعها لانها ضعفت عن مقاومة اعدائها ام نتولى اصلاح شانها وانقاذها من بلائها . القطع لا يغني الداء الا اذا كان الداء موضعياً . والرذائل ليست موضعية في جسم الهيئة الاجتماعية ولكنها منتشرة عمومية . فاذا قطعتم اليد لم تسلم الرجل واذا قطعتم الرجل لم يسلم الراس . الرذائل كالتنين الخرافي لا تؤثر فيه القوة المادية وكلما قطعتم راساً نبت مكانه راس ان لم يكن رؤوس . وانما يؤثر في الرذائل والشرور دواء يستاصل الداء من اصوله وهو تربية النفس من صغر في الدين والخير والفضيلة لا تحسبوا هؤلاء الجناة واللصوص والقتلة الاشرار ولدوا كذلك . كلا انهم كانوا في صغرهم اطفالاً ملء افئدتهم الطهارة والبساطة وانما افسد عدم التربية نفوسهم فشبوا على الشر بدلاً من ان يشبوا على الخير . وكلما كبر الشر الذي تصنعه ايديهم يكبر استنا عليهم وعلى نفوسهم . ذلك ان تلك القوة المخزونة في تلك النفوس لو صرفت الى الخير لكانت فيه كبيرة كما كانت في الشر كبيرة . وهذا معنى قول افلاطون حكيم اليونان في الكتاب السادس من جمهوريته — « لا تحسبوا ان الجرائم الكبرى تصدر عن نفوس صغيرة دنيئة كلا وانما تصدر عن نفوس كبيرة افسدها سوء التربية »

فادخل ايها « المنبوذ » الى اماكن الانتظار . ادخل فان جهلك وفساد تربيتك لا يبرران جنايتك ولكنَّ في هذه الارض ارض النور والمناء من الرحمة والشفقة والعدل ما ليس في تلك الارض ارض الظلمة والشقاء .... »

باب تدبير الصحة

﴿ والمنزل ﴾

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

(كلمات صحية)

﴿ آلة لتحسين الصحة ﴾ جدير بان يلقب هذا العصر بعصر الميكانيكيات فان الآلات الميكانيكية تصنع كل يوم عجائب وغرائب

وآخر ما صنعته من هذا القبيل تجارب الاستاذ اتواتر الاميركي فان هذا العالم اجرى مع تلامذته تجارب لتحسين صحة الانسان بالوسائط الميكانيكية فنجح بذلك كما نجح النباتيون في استنبات البقول والخضر في غير اوقاتها من فصول السنة

وموضوع آلته حفظ النشاط والقوة في جسم الانسان مستنداً في ذلك الى ثلاثة مباديء : الاول جودة التغذية . والثاني اعتدال الرياضة . والثالث حفظ الحرارة

فانه يأخذ الفتى العجيف النحيل من الجهد او من سوء المعيشة . او الفتاة التي يكاد الترف يذهب بكل قوتها فيدخلها الى غرفة مخصوصة بناها ووضع فيها انابيب مملوءة بالماء البارد ومجاري كهربائية لحفظ حرارة المكان في الدرجة التي يريدها . ثم يأخذ يغذي مريضه بما يعده له من المواد المغذية يمزجها على النسبة اللازمة من تلك المواد ويطعمه اياها في مواعيد معلومة ويجعل له داخل الغرفة دراجة يروض جسمه بها او عملاً آخر غير شاق يعمله فلا تنقضي عليه اربعة او ٥ ايام حتى يظهر التحسن في صحته . وتسمى الآن هذه الآلة الغريبة آلة اتواتر

وللعالم اتواتر طريقة اخرى في مداواة النحاف الضعاف . فانه حالما يوقن بانه ليس في مريضه داء من الادواء ينظر في حاله . فاذا كان فقيراً عرف ان داءه قلة الغذاء وسوء المعيشة فيجيد تغذيته واذا كان غنياً رجح ان اعتلاله من كثرة الاكل فيخفف غذاءه ويقلل طعامه . واذا كان بطالاً جعله يشتغل واذا كان كثير الجهد جعله يستريح . وربما كان هذا الدواء البسيط خيراً من دوائه الميكانيكي الاول

﴿ الدراجة والصحة ﴾ كثرت نقم التمدن في هذا العصر فحق ان تكثر نعمه .

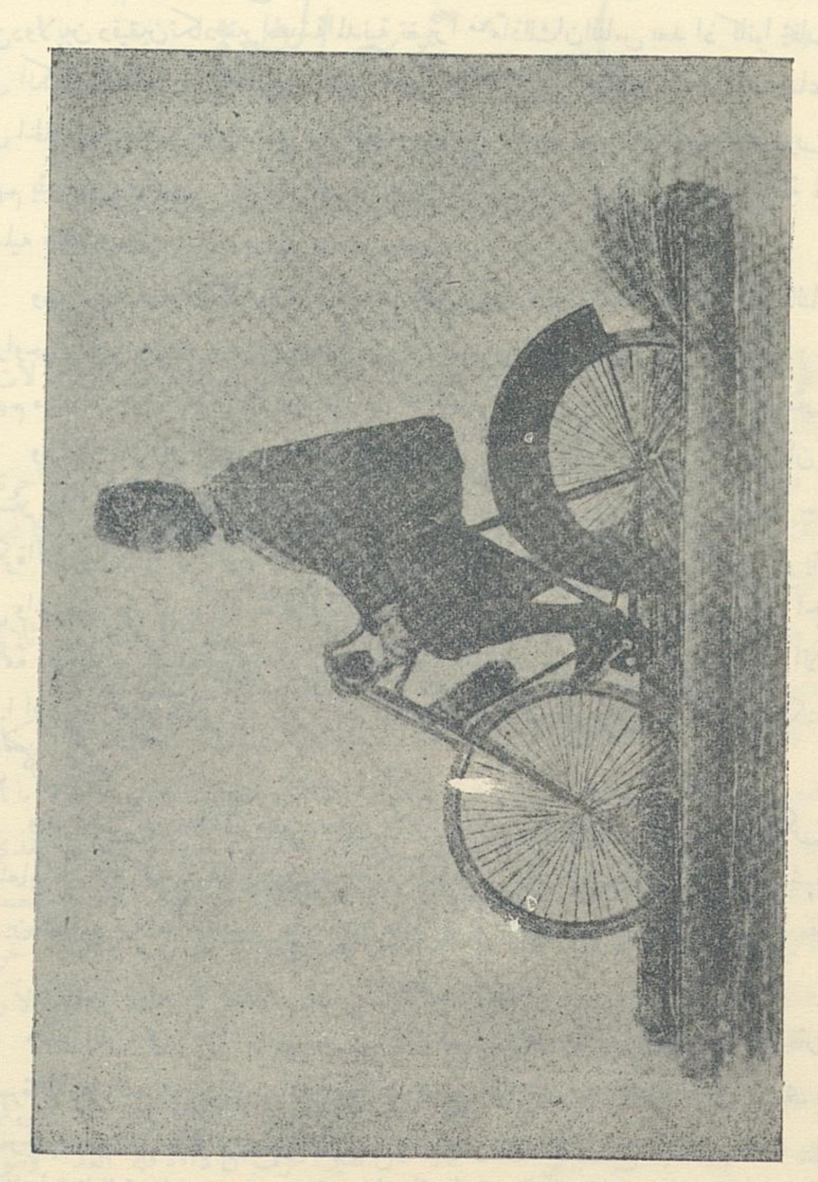
ونحسب من نعم التمدن اختراع الدراجة (البسيكليت) · فان هذه الالة الصغيرة المؤلفة من دولابين دقيقين تكاد تغير المعيشة المدنية تغييرًا مهمًّا ذلك ان الناس بعد اذ كانوا يخلدون الى الكسل والاقامة وراء اسوار مدنهم اصبحوا يخرجون على الدراجات جماعات جماعات الى الخلاء يستنشقون الهواء النقي وهم لا يشعرون و يروضون عليها اجسامهم وهم يحسبون انهم يتسابقون ويلعبون · ولذلك نخير ما يصنعه الانسان لنفسه ان يقتني هذه الآلة التي تسليه وتفيده معًا

ومن مزايا هذه الآلة فوق ما ذكر انها تختصر البعد وتقرب المسافات · فقد اصبح الناس يتراوحون عليها بين باريز وبرلين وفينا حتى ان منهم من وصل عليها الى بطرسبرج · بل منهم من دار حول الكرة الارضية على دراجة فقطع في سفره هذا ٣٢ الف كيلو متر وهؤلاء السياح الشجعان واحد انكليزي يدعى المستر فرازر واثنان اميركيان هما المستر ماك ايلرث وعروسه · تزوج بها فرآها نحيفة الجسم فسار معها كلٌّ على دراجة حول الكرة الارضية رغبة في تسمينها فقاست معه في طريقهما اهوالاً شديدة · وكانت طريقهما من واشنطون على نيو يورك فسان فرانسيسكو فتوكيو فكلكيتا فطهران فروسيا · وقد اجمل عظمة شاه الفرس استقبالهما في طهران واذن لهما باخذ رسمه مع رجال حاشيته وامامي الآن هذا الرسم وعظمته جالس فيه على عرشه بين وزرائه والازهار والاثاث الثمين تكتنفه من كل جانب

وقد بلغت الدراجة الى مصر وبعض بلاد المشرق فتهافت الناس على اقتنائها ولكن استعمالها لم يصبح عموميًا بعد ونعرف في الشام مدنًا لم تُرَ فيها الدراجة فنحن نحث شبانها الذين تهمهم سلامة ابدانهم على اقتناء هذه الآلة الصحية المفيدة — (طبيب الجامعة)

***

وعدنا القراء في الجزء الماضي ان ننشر لهم رسم دراجة تسير على وجه الماء اخترعها حضرة البارع محمد افندي ايوب وسار بها على سطح الماء في ترعة المحمودية على مرأى من المتفرجين · وبمناسبة ما ذكره حضرة طبيب الجامعة عن الدراجات نضع لهم الرسم الذي يرونه في الصفحة التالية · فانه رسم حضرة مخترع هذه الدراجة سائرًا بها على سطح الماء في الترعة وهي تعزف السلام الخديوي من آلة موسيقية تتحرك بحركة سيرها



دراجة تسير على وجه الماء لمخترع شرقي
راجع ما ورد عنها في ذيل الصفحة السابقة في هذا الجزء

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتأخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

تربية الابل

(عند العرب)

مقتطف من كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب

للعرب اليد الطولى في تربية الابل والقيام على نتاجها لشدة الاحتياج اليها في بلادهم فهي مراكبهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم ويأكلون لحومها ويقتاتون من البانها ويكتسون من اوبارها ويقايضون عليها في المبايعات ويفتدون اسراهم بها عند نزول النكبات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراهنات ومهر الزوجات وبالجملة والتفصيل هي مصدر غناهم. وقد جاء في الحديث لا تسبوا الابل فان فيها رقو الدم اي انها تعطى في الديات فتحقن الدماء بها

وكانوا يعلفونها حبَّ الخمخم وهو نبتٌ معروف وينصبون في مباركها عوداً لتحتك بهِ الجرباء منها ويسمونه المحكك وفي مجمع الامثال للميداني الجذل وهو اسمٌ لاصل الشجرة وتصغيره جُذَيلٌ وبه يضربون المثل في الخشونة فيقولون اخشن من جُذَيل واما الثملة والطلياء والربذة فهي اسماء خرقةٍ تطلى بها الابل الجرباء وبها يضربون المثل في الخسة والاحتقار فيقولون لمن ارادوا الاحتقار به اهون من ثملة ومن طلياء ومن ربذة

وكانوا اذا ارسلوا الجمال الى المراعي القوا جديلها على الغارب ولا يُترَك ساقطاً فيمنعها عن الرعي ولذلك يقولون في امثالهم القِ حبله على غاربه يضربونه لمن تكره معاشرته والمعنى دعه يذهب حيث يشاء

واذا كانت سنة مجدبة يخاف منها على الابل ذبحوا اولادها لتسلم الامهات ولذلك قالوا في امثالهم شرُّ دواء الابل التذبيح ولهم فيها معاملات اخرى

ولما كانت العرب اشدُّ الناس تحملاً للمشاق والبرد والحر والجوع والعرى نظراً لعقم اراضيهم وقلة المياه فيها كان اذا اراد الرجل سفراً عوَّد ابلهُ ان تشرب خمساً اي كل خمسة



الابل عليها العرب يتسابقون في قفار الحجاز

ايام مرة ثم عودها على السدس حتى اذا اخذت في المسير تصبر على الماء · وقال الميداني الظاهرة اقصر الاظماء وهي ان ترد الابل كل يوم مرة ثم الغبُّ وهي ان ترد الماء يوماً وتغبُّ يوماً والربع وهي ان ترد يوماً ويومين لا ترد وترد في اليوم الرابع وعلى هذا القياس الى العشر· وفي الصحاح ليس في الورد ثلاث لان اقصر الورد الرِّفه وهي ان تشرب الابل كل يوم ثم الغب وهي ان ترد يوماً ثم تدع يوماً فاذا ارتفع عن الغب فالظمءُ ثم الربع ثم الخمس وهكذا الى العشر قاله الاصمعي

وكان ركبهم يتصافن الماء ايضاً ولاسيما في شهري · ناجر وتصافن الماء هو ان يطرح في

القعب حصاة او نواة من نوى المقل ولذلك يقال لها المقلة ثم يصبُّ فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشربون بقدرٍ واحد

واكبر الابل العربية لا يمشي في الساعة اكثر من الف وخمس مئة وخمسين خطوة واما الصغير منها فيمشي الفاً فقط وخطواتها بقدر خطوات الانسان مرتين والركض عليها متعب جدًا بخلاف الحمير · ويعبرون عن الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها بالعوجاء واما التخربوت فهي الخيار الفارهة من النوق· والمرقال مبالغة مرقل من الارقال وهو بين السير والعدو· والأمون الناقة التي يؤمن عثارها والرسلة هي التي تكون سهلة السير تمشي هونًا· والخدج التي تميل في احد الشقين لنشاطها في السير · والدفاق المتدفقة في سيرها اي المسرعة غاية الاسراع· والرزية التي ترزي في السفر اي تحلت انرط هزالها

وللعرب لحنٌ يسوقونها به ويسمونه الحداء والحادي السائق الذي يسوق الجمال بصوته الرخيم· وقد اشتهر بينهم في ذلك بعد الاسلام رجل يقال له سلام الحادي كان حسن الصوت في الغاية حتى كانوا يضربون به المثل· قيل انهم كانوا يعطشون الابل ثم يوردونها الماء ويقف سلامٌ من ورائها ويحدو لها فتنصرف عن الماء اليه· وكان من خواص مروان بن محمد بن مروان الاموي

ومن امثال العرب شقُّ العصاء يضرَب للمتفارقين واصله ان يكون الحاديان في رفقة فاذا لزم افتراقهما شُقت العصاء التي معهما فاخذ هذا نصفها وذا نصفها ثم كثر حتى جُعل شقُّ العصاء مثلاً في كل فرقة

وذكر بعضهم ان العرب اذا كان لهم ناقة كريمة منعوا عنها كل فحل غير كريم وقرعوا على انفه بالعصاء اذا دنا منها ولذلك يقولون في امثالهم لا تقرع له العصاء يضرَب لمن لا ينبغي ان يردّ خائبًا· وقيل بل يضرب للمحنك المجرب وكان للنعمان بن المنذر اللخمي فحلان كريمان يُضرب بهما المثل وهما جديل وشَدْقَم

وضلّ لرجلٍ بعيرٌ فاقسم لئن وجده ليبيعه بدرهم فاصابه فقرن به سنورًا وقال ابيع هذا الجمل بدرهم وابيع السنور بالف درهم ولا ابيعها الاَّ معًا· فقيل له ما ارخص الجمل لولا المرة· فجرت مثلاً يضرَب في النفيس والخسيس يقترنان

ويعبرون عن الابل بالجليلة واجودها عندهم الاشهب البازل يعني الابيض القوي ويقولون ناقة هجان وجمل هجان والهجان حسن البياض واعتقه وقيل بل ان انفسها السود قال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الاسحمِ

باب التقريظ والانتقاد

شركة طبع الكتب العربية

كنا في مقدمة الذين عرفوا فضل « شركة طبع الكتب العربيـة » التي تألفت من نخبة من افاضل المصريين في العاصمة لاحياء مآثر العرب بنشر ما خلفه علماؤهم الاعلام من الاثار التي يتباهى اليوم الافرنج بنقلها الى لغاتهم كما بسطنا ذلك في صدر هذا الجزء . وقد حققت هذه الشركة آمال الذين يتوقعون من عملها خيراً عظيماً للعلم والعلماء في الشرق فنشرت في خلال بضعة اشهر ثلاثة كتب جليلة اهدتها الينا فوردتنا بعد طبع باب التقريظ في الجزء الماضي

✲ الوجيز في فقه مذهب الامام الشافعي ✲ واول هذه الكتب كتاب الوجيز في فقه مذهب الامام الشافعي تأليف فيلسوف الاسلام الامام محمد بن محمد ابي حامد الغزالي . وهو جزءان في كل منهما ٢٩٦ صفحة كبيرة يتضمنان « فقه مذهب الامام الشافعي وبيان مذهب الامام مالك وابي حنيفة والمزني والاقوال والاوجه البعيدة لاصحاب الامام الشافعي بالرمز الى كل منها باصطلاح مخصوص » وفي شهرة الغزالي ما يغني عن وصف هذا الكتاب الجليل وذكر اهميته لدى جميع المسلمين والمستشرقين

✲ سيرة صلاح الدين الايوبي ✲ وثالث هذه الكتب كتاب سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تأليف القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية وفي ذيله منتخبـات من كتاب التاريخ لصاحب حماه تاليف تاج الدين شاهنشاه ابن ايوب رحمه الله . وهو يتضمن نشأة السلطان العظيم يوسف صلاح الدين الايوبي الذي رد غارات الافرنج عن مصر والشام وعدله وشجاعته وحلمه وتاريخ الوقائع التي شهدها وتفاصيل حياته كلها الى وفاته رحمه الله . وسنطالع هذا الكتاب بالامعان الذي هو اهل له ونقتطف منه للقراء ترجمة حال هذا الملك العظيم شاكرين لهذه الشركة انها كفتنا عناء اخذ هذه الترجمة عن المصادر الافرنجية التي نبذل في التنقيب فيها والوصول اليها عناء ليس باليسير

وانما نشكرها بالخصوص لانها تعمم العلم وتجعله قريب المنال لعامة القراء وخاصتهم بما تنشره من الكتب الجزيلة النفع القليلة الثمن مما لا يتاح الا لشركة مثلها كبرى تقوم لخدمة المعارف وطلب العلم لذاته لا لقوم يتخذونه تجارة فان ربحت تجارتهم اقاموا يخدمون وان خسرت تركوا وولوا مدبرين

وعندنا ان هذه هي العقبة الكبرى في سبيل المعارف في بلاد الشرق الآن . فان المدارس تُنشأ فيها « لربح المال » والتلامذة يتعلمون فيها ما يكفي « لربح المال » والجرائد تُنشا لا لتمثيل مبداء او الدفاع عن مبداء بل « لربح المال » وكتابها قلما يكتبون غير الفصول « السطحية » التي يكون فيها قنطار من اللذة ودرهم من الفائدة وذلك رغبة في ارضاء جمهور القراء اي طمعاً في « ربح المال » والمطابع والمكاتب لا تنشر الكتب المفيدة ولكن الكتب التي تروج لدى القراء اي الكتب التي تكون ذريعة « لربح المال »

فالمال . المال — هذا الصنم اللامع الذي يعبده اكثر طلاب العلم في الشرق — يدوس الآن بقدمه الهائلة على صدر المعارف فيه فلا يدعها تخطو في سبيل العلم الحقيقي خطوة واحدة . والعلم الصحيح ساخط علينا لاننا لا نطلبه لذاته بل للمال فلا بدع اذا كره الاقامة على الذل والضيم وما كان الذل والعلم ليجتمعان في بقعة واحدة

على ان طلوع « شركة طبع الكتب العربية » على المعارف الشرقية وتفلتها لغنى اعضائها من ربقة المال واسر « الربح » يبشرنا بعصر جديد ان شاء الله . وحبذا ان تكون هذه الشركة طليعة هذا العصر . فكما قام بعض كرام الاغنياء الى نشر الكتب النافعة يقوم منهم بعض الى انشاء المدارس وبعض الى الدرس والانقطاع الى دروس خصوصية يتعمق فيها وآخرون الى انشاء الجرائد على مبداء جديد يكون اساسه خدمة العلم ونشر المعارف لا الجري مع هوى العامة استرضاء لها وطلباً لاموالها وآخرون الى وضع جوائز سنوية للكتب تؤلف وتترجم . بذلك ينشط العلم من عقاله ويتحرر من اسر المال وينمو تحت سماء الشرق كما كان . والا فالسيادة تبقى للمال وبئس المآل

✻ الاهرام في العاصمة ✻ الاهرام شيخ الجرائد السياسية في الشرق . انقضى عليها ربع قرن وهي صوت صارخ في ربوعه فحق لها هذا النجاح العظيم الذي اصابته في حياتها الصحافية مكافأة عادلة عن اجتهادها وحسن خدمتها

ويسر الذين يقدرون هذه الجريدة الوطنية الخطيرة حق قدرها ان يعلموا عزم سعادة مديرها المفضال شيخ الصحافيين في الشرق على انشاء فرع جديد يومي للاهرام في القاهرة

تصدر طبعته مع هذا الجزء من الجامعة . وقيمة الاشتراك في فرع القاهرة ١٥٠ غرشاً صاغاً اما فرع الاسكندرية فقيمة الاشتراك فيه مائة غرش فقط و ٥٠ غرشاً للمشتركين بفرع القاهرة

وهي خطوة جديدة لتسهيل مقتنى الجرائد السياسية بتخفيف اثمانها الى هذا الحد . فنقدم خالص التهنئة الى حضرة صاحب السعادة مدير الاهرام راجين للشرقيين مزيد الانتفاع بمواهب كبرائهم وهممهم العالية

وستصدر ادارة الاهرام ما عدا الطبعتين العربيتين اليوميتين طبعة فرنسوية اسبوعية في القاهرة لاطلاع الاوربيين على احوال الشرق والشرقيين

لدينا تقاريظ كثيرة ضاق عنها هذا الجزء فنرجو المعذرة من اصحابها

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

✻ عودة الجناب الخديوي ✻ يعود الجناب الخديوي المعظم من سياحته في اوربا وفي البحر المتوسط مع صاحبتي الدولة والعصمة والدة سموه الفخيم وحرمه المصون والانجال الكرام في اوائل الشهر الجاري . فنهنئ القطر بعودة اميره المعظم وندعو لجنابه الفخيم بطول العمر والبقاء

✻ نصب تمثال فرديناند دي لسبس ✻ تحتفل شركة ترعة السويس في ١٧ نوفمبر الجاري بنصب تمثال للمرحوم فردينان دي لسبس فاتح ترعة السويس عند مدخل الترعة في بور سعيد . وسيشهد هذا الاحتفال الجناب الخديوي وحضرات النظار وكثيرون من اكابر الرجال من كل الامم

✻ اساقفة اقباط ارثوذكس ✻ احتفل في ٢٢ الماضي في الكنيسة الارثوذكسية القبطية الكبرى في القاهرة برسامة حضرة الانبا يوأنس اسقف مملكة قوجام من بلاد الحبشة . وقد شهد الاحتفال حضرة صاحب العطوفة مصطفى فهمي باشا النائب عن سمو الجناب العالي وحضرة اللورد كرومر وغيرهما من اكابر الرجال وقام برسوم هذا الاحتفال غبطة البطريرك المكرم فكان احتفالاً عظيماً ساد فيه الهدوء والوقار بالرغم عن شدة الزحام

﴿حملة السودان﴾ تقرر ترك الحملة على التعايشي في هذا العام لانه ترك مكانه الذي لجأ اليه . والارجح ان السبب اشتغال الحكومة الانكليزية بجنوبي افريقيا

(خارجية)

﴿الحرب﴾ لم تصل النجدات الانكليزية الى افريقيه الجنوبية بعد فالترانسفاليون يمرحون فيها بين هجوم على القطارات وتقليع السكك الحديدية وحصر المدن . وقد جرى قتال شديد بينهم وبين الانكليز في كانكوى فارتد الترانسفاليون عنها بعد ان قتل من الفريقين خلق كثير وهم الآن يحصرون كمبرلي وقصدهم الانتشار في مستعمرة الكاب في غربي اورانج والترنسفال لاستنفار الهولانديين اخوانهم الى الثورة فان فوزهم متوقف على ذلك

وقد خطب اللورد سالسبري في مجلس الاعيان فصرح بان الحكومة الانكليزية اضطرت الى هذه الحرب اضطرارًا وانها لا تقصد قتل حرية الترانسفال بل مساواة البيض في جنوبي افريقيه بعضهم ببعض تحت سيادة انكلترا . فاعتبر السياسيون هذه الخطبة مما اراد اللورد صبه على غضب الراي العام الاوربي الذي ينكر على انكلترا هذه الحرب

وقد ارسل مكاتب الطان في برلين يقول ان الامبراطور غليوم قلق من تاهبات انكلترا البحرية فباحث في ذلك وزيره المسيو دي بيلوف . والمناوشات الآن عامة في جميع المواقع بين الانكليز والبوير . فاذا لم يفلح هؤلاء اليوم قبل وصول المدد فانهم لا يفلحون

(وفيات)

﴿المرحوم جاويد بك﴾ روت صحف الاستانة ان رجلاً البانيًا يدعى الحاج مصطفى (من ايكي حصار) التابعة لولاية اسكيدار الالبانية هجم على عطوفتلو جاويد بك نجل صاحب الدولة والفخامة خليل رفعت باشا الصدر الاعظم وهو على سلم محطة الشركة المخصوصة في الاستانة واطلق عليه خمس رصاصات من غدارة كانت بيده فقتل . رحمه الله رحمة واسعة والهم دولة والده الفخيم جميل العز والسلوان على هذا الخطب العظيم

﴿اليوزباشي محمود حلمي﴾ نعت الينا انباء ام درمان الجندي الباسل والشاب الاديب المرحوم اليوزباشي محمود افندي حلمي الطوبجي . توفاه الله في ربيع الحياة عن ٢٨ عامًا عقب عملية جراحية لخراج في الكبد ناتج عن الديسونطاريا فشق نعيه على اهله واصدقائه بالخصوص زملائه الضباط الابasل الذين خاضوا معه غمار الحروب في السودان .

وقد رثاه احدهم وهو حضرة الشاعر البليغ محمد افندي حافظ بقصيدة نشرنا بعض ابياتها البليغة في نبذة « افريقيه مدفن اوربا » في هذا الجزء فنسال الله ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ويلهم حضرات آله ولاسيما حضرة شقيقه الفاضل الملازم اول عبد الحميد افندي زكي في ام درمان جميل العزاء والسلوان

١٣ نوفمبر القادم

ما كنا نعلم ان لنبوءة رودولف فالب عن انقضاء العالم في ١٣ نوفمبر القادم كما ذكرنا في باب الاسئلة والاجوبة في الجزء الماضي — هذه الاهمية التي لها الآن لدى خاصة الناس وعامتهم في الشرق والغرب . فقد روينا في الجزء الماضي خبر السيدة التي لم تجد في التوراة علامات القيامة ومجيء الساعة ولكن سيدة اخرى تقول انها وجدت هذه العلامات في الاصحاح ٢٤ من انجيل متى . فقد جاء فيه انه يكون في يوم القيامة زلازل وحروب ومجاعات في امكنة كثيرة . قالت : فهذه الزلازل في ايدين وهذه الحروب في الترنسفال وهذه المجاعات في روسيا والهند وشرقي افريقيه .

وروى لنا صديق ان سكان بلدة مصرية على شاطئ البحر المتوسط حفروا آبارًا مردومة في بلدهم حتى يختبئوا فيها اذا صدم المذنب الارض فلا يحترقوا بناره . قال واظن ان الذي حملهم على هذا الفعل نبيه من رجالهم رأى الآبار مردومة والمدينة بحاجة اليها فزيّن لهم هذا الامر حتى يحفروها

وروت الجرائد الاوربية ان الخوف مستحوذ على نفوس العامة في اوربا حتى ان بعض السكان في سيبيريا حفروا انفاقًا تحت الثلج ليقيموا فيها فاذا جاء المذنب انطفأت ناره بالثلج فلم يمسهم منها اذى . . . ونهاية المضحكات ان تاجرًا عليه ديون أنظر دائنيه كلهم الى ١٤ نوفمبر وهو يقول في نفسه : في ١٤ نوفمبر لا يكونون ولا اكون

وقد تكلمنا في الجزء الماضي عن هذا المذنب الذي زعموا ان منه الخوف على الارض ونزيد على ذلك الآن ان هذا المذنب اتانا قبل اليوم وذلك في سنة ١٨٣٣ فصير الليل نهارًا بما تساقط حوله من الشهب والرجم وقد قدروا عددها في ليلة واحدة بمائة وخمسين الف شهاب . ثم عاد بعد ذلك في سنة ١٨٦٦ اي بعد ٣٣ عامًا وهو الآن يعود في سنة ٩٩ فيكون قدومه والحالة هذه دوريًا كل ٣٣ سنة وان الجامعة تصدر ولا يبقى ليوم

المذنب الا ١٣ يوماً . فاذا كان مرور هذا المذنب على الارض في الليل وكانت سماء مصر في ذلك الليل صاحية يرى سكانها كأن السماء تمطر نجوماً وشهباً واما اذا كان مروره علينا في النهار فانهم لا يرون شيئاً

وهذه المذنبات منتشرة في الفضاء بعدد رمل البحر فانهم يقدرون عددها باربعة وسبعين مليون مليار تسبح كلها في الفضاء بقوة عجيبة يقف لديها الانسان مرتعداً مدهوشاً. وسرعتها ١٥٠ الف كيلومتر في الساعة اي اكثر من سرعة اسرع قطار بالف و ٥٠٠ مرة ولكل منها ذنب طوله عدة ملايين من الكيلومترات ومساحته اكثر من الف مليار كيلومتر

واما الشهب التي تتساقط عند المذنبات فيكون منها مطر النجوم فهي اجرام تدور معها لا المذنبات نفسها . تحمى لسرعة مرورها في الهواء فتفنى فيه او تنجذب الى جرم آخر كما مر في الجزء الماضي . وتسير هذه المذنبات كلها بتلك السرعة على خطوط غير متوازية فلا يمنع اصطدامها بعضها ببعض او التقائها بالارض وافنائها الا اتساع الفضاء غير المتناهي وحكمة الله سبحانه وتعالى . ويخلق الله ما لا تعلمون

افريقيه مدفن اوروبا

(ومصر)

يسمي الاوروبيون افريقيه مدفن اوروبا لكثرة ما طوت ارضها في هذا القرن من الجنود والسياح الاوروبيين . وقد سماها كذلك بعضهم في مصر لكثرة ما ذهب في سودانها من رجال مصر تارة بالحروب وتارة بالامراض المختلفة . ولكن اذا كان السودان مدفناً لابناء مصر كما يقال فهو ولا شك مجال واسع لحماستهم ونشاطهم واقدامهم يتعلمون فيه ما لم يتعلموه في معيشة الحضر فينشأون على الاقدام والعمل وحب النظام وخدمة الوطن خدمة ترفع النفس وتجعل الرجال رجالاً . وقد ذكرنا هذا الامر قصيدة وردتنا لناظم بردها حضرة الشاعر البليغ والجندي الباسل محمد افندي حافظ من ضباط الجيش المصري في السودان يرثي بها المأسوف عليه المرحوم اليوزباشي محمود افندي حلمي الطوبجي كما ورد في الوفيات في هذا الجزء . ويمنعنا ضيق المقام من نشر هذه القصيدة البليغة برمتها انما ننشر منها هنا ما يتعلق بالموضوع الذي نحن في صدده وهو الدلالة على ما تطوي ارض

السودان الجرداء من جواهر النفوس وما تنشأ في قفارها من فضائل الحماسة والاقدام كما تدل عليه الابيات الحماسية الآتية : قال الشاعر في الرثاء

كيف العزاء وهذا قبرُ محمودِ   تروي ثراه عيون البيض والسودِ

ومنها

ياراقداً تحت اطباق الثرى وله   في كل قلب مكان غير محدودِ
قدْ واضلوعك قبل الموت مذ جهلوا   دفين دائك قداً غير مودودِ

ومنها في ذكر حماسة المرثي

نأسى عليك اذا ما راية رُفعت   في جيش مصر لنصر اولتأييدِ
نأسى عليك اذا سارت مواكبه   تزهو بابطالها من كل صنديدِ
نأسى عليك اذا عادت فوارسه   وليس يشرق فيها وجه محمودِ
نأسى عليك اذا غنت قنابله   على رؤوس العدى في يوم تهديد
نأسى عليك اذا ما الحرب اشعلها   سيف الشجاع وولّى كل رعديد
نأسى عليك اذا شمنا الوسام على   صدر يضيء ضياء العقد في الجيد

ومنها ايضاً في الرثاء

ياقبر ضيفك هذا كان اسمحنا   نفساً واصدقنا وعداً لموعودِ
ياقبر كن روضة ان شئت اوفلكاً   ففيك بدر العلى زهر الاماجيد
محمود شوقتنا للترب نسكنها   فكلنا بين مكبودٍ ومفؤودِ
ننام نحن على بُسطٍ منمقةٍ   وانت بين نبات الارض والدود

والعادة في اوربا انهم يسمون الجنود الذين تطويهم ارض افريقيه السوداء شهداء الوطن او شهداء الواجبات سواء كان سقوط هؤلاء الجنود في ساحة الحرب ام في فرش الامراض . فالجامعة ترفع الآن من مصر صوتها الضعيف بمناسبة وفاة الجندي الباسل اليوزباشي محمود حلمي على فراش المرض في ارض السودان — وتحيي جميع من سقط من الشهداء على تلك الارض السوداء سواء كانوا من صفوف المدافعين عن استقلالهم . او المهاجمين لفتح افريقيه والسودان للمدنية والعمران

فقالت كاترين مدهوشة وماذا تحتوي يارباه هذه الصندوقة

قال لا اعلم . ها قد جاء الجواد . استودعكما الله

قال هذا ووثب الى ظهر الجواد واعمل في بطنه المهاز فانطلق في طريق باريز ينهب الارض نهباً

الفصل التاسع

(على طريق باريز)

فلنرجع الآن الى بيتو

كان بيتو يركض مدفوعاً باكبر عوامل هذه الحياة وهما : الخوف والحب

اما الخوف فكان يقول له — : طر كالطير والا امسكوك وضربوك يابيتو

واما الحب فكان يقول له على لسان كاترين — : انجُ بنفسك من اجلي يابيتو

ولذلك ما كان بيتو يركض ركضاً بل يطير طيراناً

ما اعظم اعمالك يارب . ساقاه لم تصلحا للرقص فكرهها واحتقرهما في حفلة الرقص في فيلله كوتريه اما الآن فانهما انقذتاه من طالبيه

وظل يركض وهو يحسب انهم لا يزالون يطلبونه حتى قطع الغابة التي دخل فيها ونفذ الى الطريق المؤدية الى باريز . فوقف قليلاً يتنفس الصعداء . وكانت قد انقضت عليه ساعة وهو يركض فاجتاز نحو ١٨ ميلاً وهو معظم ما يقطعه جواد قوي يسير خبباً

ووقف وقلبه مملوء ذعراً وخوفاً من رجال البوليس الذين رآهم يتعقبونه . فنظر الى الوراء ليرى اذا كان احد يتبعه فلم يجد احداً على الطريق . نظر الى الامام فابصر حمارين فوقهما امرأتان

وكان بيتو قد درس شيئاً من خرافات الاقدمين (الميتولوجيا) لانها كانت في تلك الايام قسماً من دروس المدارس فكان اذن عارفاً بعض المعرفة بآلهة الاوليمب . كان يعلم ان جوبتير اله الآلهة اتخذ يوماً جسم ثور ليستميل (اوروبا) اليه . (١) واتخذ ايضاً مرة



(١) جوبيتير — كبير آلهة اليونان والرومان . غلب اباه ساتورن على الملك فتولاه واعطى نبتون ملك البحر وبلوتون ملك الجحيم واخذ لنفسه ملك السماء والارض . زوجته جونون ابنة ساتورن فهي اذن اخته وتدعى الهة الزواج . وهذا الرسم رسم التمثال البديع الذي اقامه له

اخرى جسم بطة ليداعب ابنة تيندار مداعبة غير ادبية ثم ان بيتو ذكر ان آلهة كثيرة كانت تتخذ هيئات تختلفة بعضها حسن والاخر قبيح ولكنه لم يرَ ولم يسمع قط ان رجلاً من رجال البوليس اتخذ صورة حمار فاستبعد ان يكون هذان الحماران رجلي البوليس اللذين يتعقبانه تخفياً في جلد حمار لامساكه فسكن روعه وجلس على العشب وهو يمسح بكمه العرق عن وجهه

وكان قد تعب تعباً شديداً والعادة انه لا يأتي التعب الا ويأتي الجوع . فجاع بيتو . فذكر حينئذٍ مائدة المسيو بيلو وطعامها الشهي وكرم كاترين ولطفها . فشق عليه مفارقة هذه السعادة وكما يلتفت ابناء اسرائيل على ضفاف الاردن ويلقون الى المشرق حيث المدينة المقدسة نظرة حشوها الحسرة واليأس هكذا التفت بيتو الى المشرق حيث مزرعة الاب بيلو وتنهد من اعماق قلبه

ثم نهض واستأنف السير بخطى واسعة وان كان قد سكن روعه وكان يستطيع بهذا السير ان يقطع في الساعة ٨ اميال

وبعد مسير ساعتين اجفل لصوتٍ كوقع حوافر فرس على بلاط الطريق فالتفت مذعوراً فلم يرَ شيئاً فعلم ان اذنه خدعته فعاد الى السير مطمئن النفس واخذ يفكر بما جرى له في ذلك النهار : من هم هؤلاء المردة السود الثلاثة الذين اوثقوه ثم تعقبوه ؟ ولماذا اتوا الى المزرعة ؟ وكيف دخلوا ولم يرَهم احد حتى الكلاب والا فانها كانت على الاقل نبحت عليهم

فيدياس اشهر نحاتي اليونان في هيكل اوليمبيا وهو احدى العجائب السبع راجع ما ورد عنه في الجامعة الصفحة ١٧٨ من القسم الاول

اما اوروبا فهي في خرافات اليونان ابنة اجينوروس ملك فينيقية اختطفها جوبيتير لجمالها وذهب بها الى كريت فولدت منه فيها ملكها مينوس المشهور بحكمته عند اليونان وهو احد قضاة الجحيم . وهكذا كان شان اليونان الاقدمين فانهم كانوا يوصلون الى الآلهة نسب كل حكيم او بطل ينبغ عندهم



— رسم اسكندر ديماس الكبير مؤلف هذه الرواية التاريخية ومئات غيرها من الكتب والروايات المشهورة في جميع اقطار الارض . ونغتنم هذه الفرصة للتصريح باننا لا نلتزم الاصل في التعريب الا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية التي يسردها المؤلف وذلك رغبة في الاختصار

الا ان بيتو ما اتم تأمله هذا حتى وقع في اذنه مرة ثانية صوت حوافر الفرس الذي سمعه اولاً · فالتفت مذعوراً · ولكن لم تكن قد خدعته اذنه هذه المرة فانه ابصر على مسافة اربعمائة قدم فارساً على جواد ينهب الارض نهباً

فجرى الدم بارداً في عروقه · وكان لم يصدق ان رجل البوليس ينقلب حماراً ليكمن له ويمسكه ولكن ما الذي يمنع رجل البوليس ان يمتطي جواداً ليدرك من عجزت الاقدام عن ادراكه

قال هذا وشعر بان قوته قد عادت من الخوف اليه فحاد عن الطريق على عجل ووثب الخندق الذي على موازاتها واطلق ساقيه للريح في وسط السهول · وكان خصمه هذه المرة جواداً لا رجلاً فكان يعدو باشد قوته · ثم القى بعد قليل نظرة الى الوراء فابصر الفارس يثب بجواده الخندق الذي وثبه بيتو فلم يبقَ عنده شبهة في انه يطارده · فقال لساقيه الطويلتين : هذه ساعتكما · واندفع يركض بما اعطاهما الله من القوة

ومما كان يزيده اندناعاً في ركضه ما صار يسمعه من صوت الفارس وهو صوت جهوري ينتهي بهذا الصوت « هو » او « تو » فقال في نفسه هذا صوت غضبه وحنقه اعوذ بالله من هذا الشيطان الرجيم

لكنه بعد ركض عشر دقائق ضعفت قواه ونفد عزمه واضطرب نظره فاصبح لا يرى الطريق وصار يرى ان ركبتيه قد تضخمتا تضخماً غريباً وصارت قدماه تزحفان على الارض زحفاً · وكان الفرس لا يزال ينهب الارض وراءه وفارسه ينادي نداء اصبح مسموعاً وهو « بيتو · بيتو »

وبما ان الفرس قد اعطي ان يكون في قوائمه ارقى من الانسان في ساقيه فما عتم ان اصبح الفارس قريباً من بيتو · فقال بيتو المسكين في نفسه لقد قضي عليَّ · الوداع يا كاترين

وكان لا يزال يركض بقوة الاستمرار الا ان ساقيه ضعفتا بعد قليل واصطكتا تحته فسقط على التراب ممدداً على بطنه وهو يتنهد تنهداً عميقاً

فاتته في الحال ضربة سوط على كتفه قلبته على ظهره وسمع صوتاً جهورياً يقول —

ومراعاة الزمان والمكان · واذ والى القراء مطالعة الحوادث المقبلة بالانتباه اللازم للحوادث التاريخية العظيمة رأوا فيها من صحة التاريخ عظمة الحوادث وفكاهتها ما يكون جديراً بانتباههم · ولا سيما الرسوم التاريخية والملاحظات التي ننشرها في ذيلها كما يرون في هذه الملزمة

فبحاً لك فقد اهلكت الجواد

فرفع بيتو راسه لهذا الصوت صائحاً : هذا انت يامسيو بيلو

وكان الفارس هو المسيو بيلو بعينه وتحته جواده كاديت يغطيه العرق

فقال بيتو — شكراً لك ياسيدي · اظنك خرجت في طلبي لارجاعي الى المزرعة · لا تقلقن بالك يامسيو بيلو فانني لا اغيب عنها وقتاً طويلاً

قال واين رجال البوليس

فحملق بيتو بعينيه وقال رجال البوليس ؟ وهل تظنني اقضي وقتي في انتظارهم · فقد تركتهم وراءي من زمان طويل

قال فقم معي على عجل فاني قاصد باريز · قال وما تصنع هنالك · قال قم فان الليل اسود مدلهم والزوبعة قريبة والفجر لا يلبث ان يطلع على العالم

قال بيتو مدهوشاً · ما هذا الكلام ياسيدي فاني ارى الوقت نهاراً

قال بيلو ساشرح لك ذلك في باريز قم فاني احتاج اليك فيها · اركب وراءي على كاديت فنصل الى دامارتين ونغيره فيها فانه قد اعياه التعب ثم نسير في طريقنا

قال هذا واخذه بيده ثم رفعه كما يرفع كيساً خفيفاً واردفه وراءه

الفصل العاشر

(ما كان جارياً في باريز)

وصار بيلو قريباً من باريز عند هبوط الظلام فابصر عندهامن بعيد نوراً يلوح ويختفي فنبه بيتو الى هذا النور فاجاب انه على الغالب نار جنود معسكرين هناك · فقال بيلو وما تصنع الجنود هنالك · قال تصنع ما تصنعه الجنود التي هنا · واشار الى السهل القريب من الطريق

فمد بيلو نظره الى حيث مدّ بيتو اصبعه فرأى في ظلام الليل فرقاً سوداً من الجنود تسير في السهل سيراً بطيئاً واشعة النجوم الضئيلة تتكسر على سلاحها · ثم امعن النظر فابصر مدافع تجرُّ بازائها فهزّ راسه وقال : — اذن كان قدومنا في حينه فان ما نراه يدلنا على حدوث امر ذي بال

وكان بيتو يحدق في النور الصاعد من جهة باريز فما لبث ان صاح قائلاً — ليس ما رأيناه نوراً بل ناراً والدليل تطاير الشرر منها

فوثب بيلو عن الجواد واتجه صوب جماعة من الجنود رآهم مخيمين تحت اشجار الطريق وملابسهم زرق وصفر فسألهم . هل لكم يا صحاب ان تخبرونا عما حدث في باريز فسمعهم بعد سؤاله يطمطمون بلغة غريبة لا يفهمها فعلم انهم غير فرنسويين . فاعاد عليهم سؤاله متلطفاً فاجابه احدهم بكلام تخالطه العجمة . — مرّ في طريقك . امش

فقال بيلو ولكني اردت ان اسألكم هل الطريق مفتوحة فنستطيع الدخول الى باريز

فاجاب الصوت — مفتوحة مرّ في طريقك . امش

فعاد بيلو يتلهب غيظاً ويلوم نفسه على انه خاطب هؤلاء الاجانب

ثم استانف السير فدخل بلدة بورجه القريبة من باريز فرأى فيها فرساناً وطنيين . فقصدهم بيلو وسالهم — ما وراءكم ايها الاخوان من اخبار باريز

فاجابه احدهم . قد اصيب اصحابك الباريزيون بداء الكلب والجنون فانهم يطلبون الوزير ناكار ويرموننا بالرصاص كاننا نحن نولي ناكار ونخلعه

فسأل بيلو متعجباً وهل عزلوا ناكار . فاجاب نعم عزله الملك بل طرده طرداً وامره ان يرحل من باريز على عجل فهو الآن في بروكسل

فصاح بيلو بصوته الجهوري . طرد الملك ناكار . طرد الملك هذا الرجل العظيم . سنرى ذلك في باريز

ثم وثب على ظهر الجواد واعمل المهاز في شاكلته فسار بما بقي له من القوة . ومن التهور ان بيلو صاح هذا الصياح على الملك وهو لا يذكر انه في وسط جنود من اشد الناس اخلاصاً للملك والملكية

وكان كلما اقترب من باريز رأى النار تزداد دائرتها اتساعاً ولهيباً عظيماً يتصاعد من جانب الحاجز الخارجي . فاخذ بيلو السير حتى بلغ هذا الحاجز

فابصر عنده جماهير من الشعب في اقصى درجات التحمس والهياج تضرم النار في هذا الحاجز وفي امتعة كاتب الدخولية سخطاً وانتقاماً . بينهم جماهير من النساء اشد سخطاً وتحمساً

وكان على الطريق قرب هذا المكان فرق نمساوية والمانية تشاهد هذا الخراب باوجه غير منقبضة

فلم يقف بيتو بل قحم الحاجز الملتهب بجواده فمرّ به كالسهم اذا مرق من غير ان

يؤذيه لهيب النار الذي حلقه . فلما وثب بيلو الحاجز اصبح بين تلك الجماهير المجتمعة التي كان في نفوسها من نار الغضب نار اقوى من التي بين يديها

وكان الناس يتوافدون من داخل المدينة الى هذا المكان جماعات جماعات وهم يصرخون — السلاح اعطونا السلاح

فترجل بيلو عن جواده وسار بين الجموع آخذاً لجام الجواد بيده وهو يصيح افسحوا افسحوا باللهجة الآمر وبيتو وراءه يقول باللهجة المتلطف : افسحوا اذا اردتم . افسحوا من فضلكم فكانت لهجة الثاني توازن لهجة الاول وتذهب بخشونتها

فقطعا بالجواد الزقاق الاول والزقاق الثاني في زحام شديد لا مثيل له واشرفا على الشارع الكبير فوجدا فيه من الزحام ما لا يستطيع الانسان معه ان يخطو خطوة واحدة

ذلك ان الوفاً مؤلفة من الشعب كانت تمشي في مشهد حافل وراء رجلين يحملان في الطليعة محملاً عليهما رسمان الواحد محاط بالسواد والثاني محاط بالازهار

اما الرسم المحاط بالسواد فكان رسم الوزير ناكار الذي عزله الملك(١) والرسم المحاط بالازهار رسم الدوق دورليان فسأل بيلو من حوله عن سبب هذا المحفل فقيل له ان الشعب اراد اكرام ناكار الذي طرده الملك والدوق دورليان الذي انتصر له في البلاط بالرغم عن الحزب الملكي فهم الآن يحتفلون برسميهما هذا الاحتفال

وكان بيلو قد عاش في بلاد كان فيها اسم الدوق دورليان مكرماً محترماً . وكان من انصار الفلسفة الجديدة والافكار الجديدة كما راينا فكان يعتبر الوزير ناكار رسول الانسانية لا وزيراً فقط وكفى بذلك باعثاً على تهييج حماسته واثارة خواطره الوطنية فترك لجام الجواد بين يدي بيتو وهجم على مقدمة القوم صائحاً بكل قواه

— عاش الدوق دورليان عاش ناكار

(١) ناكار — هو جاك ناكار ولد في جنيف سنة ١٧٣٢ وكان صاحب بنك كبير في باريز معروفاً بالمهارة والاستقامة . استدعاه لويس السادس عشر الى الوزارة بعد تنحي تيرغو ومالرب عنها فبذل الهمة في ادخال اصلاحات عظيمة في مالية الدولة ولكنها كانت غير كافية . وقد قاومه البلاط ففصله الملك فقام الشعب يطلب اعادته فاعاده وكانت وفاته في سنة ١٨٠٤ وهو ابو مدام دي ستايل الكاتبة الفرنسوية الشهيرة التي سيرد ذكرها ورسمها في اثناء الحوادث القادمة

ثم اختلط بالجمع . ومتى اختلط الانسان بالجمع اصبح يرى رأيه و يشعر شعوره وكان كريشة وضعت في مجرى نهر عظيم يذهب بها ذلك المجرى في طريقه

وكانت الجموع تصيح — عاش ناكار . اطردوا الجنود الاجانب . لا نريد اجانب

فضم بيلو صوته الى اصواتهم حاذياً حذوهم

وكان لبيلو صوت جهوري قوي ولاغرو فهو صوت بدوي عاش في الخلاء بسعة و يسار اما الباريزيون فكانت اصواتهم ضعيفة خافتة بعضها لرداءة الغذاء و بعضها من فعل المسكرات . فاستحسن هؤلاء صوت بيلو الجهوري القوي بازاء اصواتهم الضعيفة فافسحوا له مجالاً فبلغ بيلو طليعة القوم دون ان يَزحم او يُزحم حتى صار وراء حاملي الرسمين

و بعد بضع دقائق تعب احدها فترك لبيلو مكانه

فكان تقدم بيلو سريعاً . بالامس كان قرويًا بسيطًا ينشر مبادىء كتاب الدكتو ر جيلبار في قرية صغيرة مجهولة فاصبح اليوم عضوًا مهمًا في المشهد الوطني الذي يقيمه الشعب لاكرام ناكار والدوق دورليان

ولما اخذ بيلو بقبض المحمل افتكر ببيتو والجواد فالتفت ليراهما فوجد الناس قد تعلقوا بالجواد من كل جانب واعتلوا ظهره لمشاهدة المحفل و بيتو يرفع يديه ويخفضهما دفاعاً عنه . فخطر له ان يذهب لاغاثة الجواد لانه رآه قريباً من الهلاك اذا بقي ذلك الثقل عليه ولكنه احجم عن ذلك خوفاً ان يفقد مركزه وما كل يوم ينال شرف المشي في طليعة المشهد الوطني . فاذا هلك الجواد فلا اسف عليه فان بيلو غني والف جواد مثله فدى الوطن والوطنية

فلبث بيلو سائرًا في طليعة المحمل حتى وصل الجمع الى زقاق مونمارتر فاندفع منه الى ساحة النصر فالتقى عند الباله رويال بجمهور غفير من الناس في قبعاتهم اوراق من اوراق الشجر الخضراء وهم يصرخون

— السلاح اعطونا السلاح

فوقف الجمعان لمعرفة القادمين وهل هم اصدقاء ام اعداء . قلنا ان في قبعاتهم اوراقاً خضراء والاخضر شعار الكونت دارتوى فما الباعث على وضع العلامات الخضراء

و بعد استطلاع الامر انكشف السبب وهو التالي

لما شاع خبر انفصال ناكار خرج الى الشارع من قهوة (فوى) شاب فاعتلى مائدة هنالك وصاح وهو يرفع بيده مسدساً

— السلاح السلاح

فاجتمع حوله من كان في تلك الجهة واخذوا يصرخون صراخه

وكانت الجنود الاجنبية معسكرة فرقاً حول باريز كامرّ بنا وهي كراينياك وساليس ساماد ودي باش واسترهازي ودومار وكفى باسمائها باعثاً لاثارة افكار البار يزيين وتنبيههم الى انها اسماء جنود اعداء لا اصدقاء . فخطب هذا الشاب في القوم وسمى لهم هذه الجنود ثم قال : ان الجنود السويسيين سيدخلون في هذا المساء الى باريز يجرون اربعة مدافع مع جنود الدراكون بقيادة البرنس لامبزك(١) فانا اقترح عليكم ايها الناس ان تتخذوا لكم شعاراً تمتازون به عنهم فيعرف به بعضكم بعضاً . قال هذا ومد يده الى شجرة كانت فوق راسه فقطف ورقة من اوراقها ووضعها في قبعته قائلاً . هذا شعارنا في هذا النهار

فصاح الجميع صيحة واحدة وصنعوا صنعه فلم تنقضِ بضع دقائق الا وقد اصبحت تلك الاشجار عارية من الاوراق . وكان عدد الحاضرين ٣ الاف رجل

اما هذا الشاب فقد كان مجهولاً في اول النهار ولكن لم يأتِ المساء حتى صار اسمه ملء الافواه والآذان . وكان يدعى كاميل ديمولين (٢)

فلما وقف رجال المشهد الوطني الذي منهم يبلو على هذه التفاصيل عانقوا اخوانهم اصحاب الاوراق الخضراء وراح كل من الفريقين في سبيله

---

(١) لامبزك — البرنس لامبزك ولد في سنة ١٧٥١ وتوفي سنة ١٨٢٥ وهو احد زعماء المهاجرين من فرنسا في ايام الثورة ومن اشد الناس رغبة في مقاومتها



(٢) ديمولين — هو كاميل ديمولين المحامي والصحافي الفرنسوي ولد في سنة ١٧٦٢ وكان احد عوامل الثورة الفرنسوية وهو الذي اعدّ الشعب للهجوم على سجن الباستيل كما سيرد في الحوادث التالية وكان ينشئ اثناء الثورة جريدة تدعى « ثورة فرنسا وبرابان » ويلقبونه « نائب اللانترن العمومي » واللانترن عندهم المصباح في الشارع كان الشعب يشنق عنده من يريد شنقه فكان ديمولين يستكثر هذا الشنق كما يدل على ذلك لقبه . وحكم عليه في ٥ افريل سنة ١٧٩٤ بالاعدام فاعدم وقد حاولت امرأته لوسيل دو بلاسي في هذا اليوم ان تستثير الشعب لانقاذه فخاب سعيها والقي القبض عليها فاعدمت ايضاً